أَداتا الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ (الهَمْزَةُ) وَ(هَلْ): أيُّهُما أقْدَم؟
دِراسَةٌ لُغَوِيَّةٌ تاريخِيَّة

د. عمر يوسف عكاشة
مركز اللغات وَقِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، جامعة اليرموك، إربد/الأردن

أداتا الاسْتفْهامِ التَّصْديقيّ (الهَمْزَةُ) وَ(هَلْ): أيُّهُما أقْدَم؟ دِراسَةٌ لُغَوِيَّةٌ تاريخِيَّة

د. عمر يوسف عكاشة
مركز اللغات وَقسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة
جامعة اليرموك، إربد/الأردن

ملخص البحث:

يَتَعَرَّضُ الْبَحْثُ لِقَضِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ تاريخِيَّةٍ اسْتَحْوَذَتْ عَلى التَّفْكيرِ رَدْحاً مِنَ الزَّمَنِ طَويلاً، تَتَمَحْورُ حَوْلَ أَداتَيْنِ مِنْ أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ نَجِدُهُما مُتَسايرَتَيْنِ هَوْناً في الاسْتِعْمال، هُما (الْهَمْزَة) وَ(هَلْ). فمِنَ المَشْهودِ أَنَّ (هَمْزَةَ الاسْتِفْهام) تَنْهَضُ بِنَوْعَيِ الاسْتِفْهام: التَّصَوُّرِيِّ وَالتَّصْديقِيِّ، وَأَمّا (هَلْ) فلا تَقومُ إِلّا بِالاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيِّ. فإِذا كانَتْ كِلْتا الأَداتَيْنِ تُعَبِّرُ عَنِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيِّ، فما هِيَ الأَداةُ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ أَقْدَمَ في التَّعْبيرِ عَنْ هذا النَّوْعِ مِنَ الاسْتِفْهامِ في العَرَبِيَّة: أَهِيَ (الْهَمْزَةُ) أَمْ (هَلْ)؟!

وَقَدْ جاءَ الْبَحْثُ في تَمْهيدٍ، وَمُقَدِّمَةٍ، وَمَبْحَثَيْنِ، وَخاتِمَة. أَمّا التَّمْهيد، فَقَد تَضَمَّنَ حَديثاً عَنِ الاسْتِفْهامِ في اللُّغَةِ وَالاصْطِلاح، وَتَقْسيمِهِ إِلى: (تَصَوُّر) وَ(تَصْديق)، وَمَفْهوم (التَّصَوُّر وَالتَّصْديق) في اللُّغَةِ وَالاصْطِلاح، وَما تَخْتَصُّ بِهِ (هَمْزَةُ الاسْتِفْهام) مِنْ أَحْكام، وَأَوْجُه افْتِراق (هَلْ) مِنَ (الْهَمْزَة). أَمّا المُقَدِّمَة، فَقَدِ اشْتَمَلَتْ عَلى أَهَمِّيَّةِ الْبَحْث، وَأَسْبابِ اخْتِيارِ الْمَوْضوع، وَأَهْدافِهِ، وَالْمَنْهَجِ المُتَّبَعِ فيه، إِضافَةً إِلى (الدِّراسات السّابِقَة). وَقَدْ خُصِّصَ الْمَبْحَثُ الأَوَّل لِتَناوُلِ المُرَجِّحاتِ الَّتي قَدْ تُنْبِئُ عَنْ أَقْدَمِيَّةِ الهمزةِ في تأْدِيَةِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقيّ، بَيْنَما أُفْرِدَ المبحثُ الثّاني لِلْحَديثِ عَنْ دَواعي اسْتِحْداثِ العربِيَّةِ الأَداة (هَلْ). ثُمَّ جاءَتِ الخاتِمَةُ لِتُبْرِزَ أَهَمَّ النَّتائِج.

وَتَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الْمَسْأَلَةِ الْمَبْحوثَةِ في أَنَّها لَيْسَتْ مَحْسومَةً إِلى الآن- في حُدودِ الْعِلْم- ، وَلا مُرَجَّحاً فيها الظَّنُّ، حَتّى لَدى كِبارِ اللُّغَوِيّينَ العَرَبِ وَالمُسْتَشْرِقينَ عَلى حَدٍّ سَواء. وَيَسوقُ الْبَحْثُ سِتَّةَ عَشَرَ مُرَجِّحاً مِنَ الْمُرَجِّحاتِ اللُّغَوِيَّة، لِيُغَلِّبَ الظَّنَّ بِأَقْدَمِيَّةِ (هَمْزَةِ الاسْتِفْهام) عَلى (هَل)، وَيُرَجِّحَ أَصالَةَ (الْهَمْزَةِ) في الدِّلالَةِ عَلى الاسْتِفْهامِ التَّصْديقيّ. وَتَبْلُغُ هذِهِ الْمُرَجِّحاتُ- في الْمُحَصِّلَةِ- سِتَّةَ عَشَرَ مُرَجِّحاً، تُصَنَّفُ أَصْنافاً ثَلاثَة: الأَوَّل: مُرَجِّحاتٌ صَوْتِيَّةٌ وَبِنائِيَّةٌ صيغِيَّة، وَالثّاني: مُرَجِّحاتٌ تَرْكيبِيَّةٌ جُمْلِيَّة، وَالثّالِثُ: مُرَجِّحاتٌ نَصِّيَّة. ثُمَّ يَنْتَقِلُ الْبَحْثُ إِلى مُحاوَلَةِ تَلَمُّسِ دَواعي اسْتِحْداثِ العَرَبِيَّةِ الأَداةَ (هَلْ) مِنْ بَعْدِ (الْهَمْزَة)، لِيَجِدَها ثَلاثَة، هِيَ: رَغْبَةُ اللُّغَةِ في تَجاوُزِ الصُّعوبَةِ المُقَرَّرَةِ لِصَوْتِ الْهَمْزَة، وَرَغْبَتُها في تَخْصيصِ الأَداةِ، وَرَغْبَتُها في تَقْوِيَةِ الاسْتِفْهام.

(الكلِماتُ الْمِفْتاحِيَّة: أَدَوات الاسْتِفْهام - الاستفهام التَّصْديقيّ – هَل - همزة الاستفهام - الأداة الأقدم في الاستفهام التَّصديقيّ).

التَّمْهيد

الاسْتِفْهام في اللُّغَة وَالاصْطِلاح

يُعَدُّ الاسْتِفْهامُ مِنْ أَبْرَزِ الْمَباحِثِ الَّتي عُنِيَ بِها الفَلاسِفَةُ وَالْبَلاغِيّونَ وَاللُّغَوِيّونَ مِنْ قَديم، حَتّى إِنَّ أَحَدَ الْفَلاسِفَةِ التَّداوُلِيّينَ الْمُعاصِرين، وَهُوَ (ميشال مايير Michel Myer)، "أَرْسى فَلْسَفَتَهُ عَلى السُّؤال، وَاعْتَبَرَ أَنَّ الْكَلامَ في أَصْلِ حَقيقَتِهِ أَجْوِبَة، وَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ (سائِلٌ) في كُلِّ أَحْوالِهِ لَيْسَ بِاعْتِبارِهِ يَطْرَحُ أَسْئِلَة، بَلْ بِاعْتِبارِهِ يَسْعى في كَلامِهِ إِلى الجَوابِ عَنْ أَسْئِلَةٍ تَسْتَثيرُهُ وَتُحَرِّكُه، وَقَدْ صارَ السُّؤالُ وَافْتِراضُ السُّؤالِ هُوَ الْمُحَرِّكَ وَالْباعِثَ الْوَحيدَ لِلإِنْسانِ الْمُتَكَلِّمِ في كُلِّ أَنْشِطَتِه وَمِنْ هُنا كانَ السُّؤالُ أَساسَ النَّشاطِ اللُّغَوِيّ وَسَبَبَ وُجودِهِ عِنْدَه، وَمِنْ غَيْرِهِ لَمْ يَكُن لِلُّغَةِ أَنْ تَتَشَكَّلَ وَلَما كانَ لِلْكَلامِ أَنْ يوجَد"[1]. وَذَهَبَ الْمَذْهَبَ نَفْسَهُ (خالِد ميلاد) حينَما رَأى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ: "عِنْدَما يُخْبِر إِنَّما هُوَ يُجيبُ الْمُخاطَبَ عَنْ سُؤالٍ صَريحٍ أَوْ غَيْرِ صَريح، إِذْ إِنَّ كُلَّ إِخْبارٍ يَصِحُّ أَنْ يَكونَ جَواباً لِسُؤالِ سائِل"[2]. وَلِذلِكَ فَإِنَّ مِنَ الصَّوابِ أَنْ يُنْظَرَ إِلى الاسْتِفْهامِ بِاعْتِبارِ أَنَّهُ يُمَثِّلُ الْعَمَلَ الأَوَّلَ لِلإِنْسانِ في عَلاقَتِهِ بِالْكَوْن[3].

---

(١) إِدْريس مَقْبول، الأُسُس الإبستمولوجيَّة والتَّداوليَّة لِلنَّظَرِ النَّحْوِيِّ عِنْدَ سيبَوَيْه، ط١، ص٣٧٣، جِدارا للكِتاب العالَمِيّ- عَمّان، عالَم الكُتُبِ الْحَديث- إربد، الأُرْدُنّ، ٢٠٠٦. وَ: فَريدة بن فضَّة، الاسْتِفْهامُ عِنْدَ السَّكّاكِيّ: دِراسَةٌ تَداوُلِيَّة، ص١١٣- ١١٤، مجلَّة الممارسات اللغويَّة، مخبر المُمارَسات اللّغويَّة في الجزائِر، العدد (٣٢)، ٢٠١٥.

(٢) خالد ميلاد، الإنشاء في العربيَّة بَيْنَ التَّرْكيبِ وَالدِّلالَة، ط١، ص٨٩، جامِعَة منوبة: كلِّيَّة الآداب- منوبة، المُؤَسَّسة العربيَّة لِلتَّوْزيع، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١. وَ: فريدة بن فضَّة، الاسْتِفْهامُ عِنْدَ السَّكّاكِيّ: دِراسَةٌ تَداوُلِيَّة، ص١١٤.

(٣) انْظُرْ: فَريدة بن فضَّة، الاسْتِفْهامُ عِنْدَ السَّكّاكِيّ: دِراسَةٌ تَداوُلِيَّة، ص١١٤.

وَالاسْتِفْهامُ- لُغَةً- هُوَ سُؤالُ الْفَهْمِ أَيْ طَلَبُهُ: "وَاسْتَفْهَمَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُفَهِّمَه"[1]، وَالْفَهْمُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ بِالْقَلْبِ أَوِ الْعَقْل: "الْفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْب... وَفَهِمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتُه"[2]. وَلا يَخْرُجُ الاسْتِفْهامُ فِي الاصْطِلاحِ الْبَلاغِيِّ وَالنَّحْوِيِّ عَنْ هذا الْمَعْنى اللُّغَوِيّ، إِذْ عَرَّفَهُ (السَّكّاكِيّ) (٦٢٦هـ) بِقَوْلِهِ: "وَالاسْتِفْهامُ لِطَلَبِ حُصولٍ فِي الذِّهْن"[3]. وَهُوَ فِي عُرْفِ النَّحْوِيّينَ "طَلَبُ الْفَهْم، نَحْوَ: أَزَيْدٌ قائِمٌ؟"[4]، أَوْ هُوَ "اسْتِعْلامُ ما فِي ضَميرِ الْمُخاطَب، وَقيلَ: هُوَ طَلَبُ حُصولِ صورَةِ الشَّيْءِ فِي الذِّهْن"[5]، أَوْ هُوَ "طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلوماً مِنْ قَبْل"[6].

---

(١) ابْن مَنْظور، أَبو الْفَضْل جَمال الدّين محمَّد مكرم، لِسان الْعَرَب: (فهم)، ط١، دار صادر، بَيْروت، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.

(٢) السّابق نفسه.

(٣) السَّكّاكِيّ، أبو يَعْقوب يوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ، مِفْتاحُ العُلوم، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَفَهْرَسَه: عَبْد الحَميد هنداوي، ط١، ص٤١٥، مَنشورات مُحمَّد علي بَيْضون، دار الكُتُبِ العلميَّة، بيروت- لُبْنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٤) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، جمال الدّين عبد الله بن يوسف، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب، تَحْقيق وَشَرْح: عبد اللَّطيف محمَّد الخَطيب، ط١، ١/ ٧٠، الْمَجْلِسُ الْوَطَنِيُّ لِلثَّقافَةِ وَالفُنونِ وَالآداب، السِّلْسِلَة التُّراثِيَّة: (٢١)، الْكُوَيْت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٥) الشّريف الجُرْجانِيّ، عليّ بن مُحَمَّد، مُعْجَمُ التَّعْريفات، تَحْقيق وَدِراسَة: مُحَمَّد صِدّيق المِنْشاوي، رقم (١٠٩)، ص١٨، دار الفَضيلَة، القاهِرَة. وانظر: هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٨، رِسالة ماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها، إشراف: خديجة عبد الرزّاق الحديثي، جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٦) أَحْمَد مَطْلوب، مُعْجَم المُصْطَلَحاتِ الْبَلاغِيَّةِ وَتَطَوّرها، إعادة طبع، ص١٠٩، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧.

تَقْسيمُ الاسْتِفْهام:

بَعْدَ أَنْ عَرَّفَ (السَّكّاكِيّ) الاسْتِفْهامَ التَّعْريفَ السّابِقَ، قَسَّمَهُ مُباشَرَةً إِلى قِسْمَيْنِ هُما: (**التَّصْديقُ**) وَ(**التَّصَوُّر**)[1]، وَذلِكَ في قَوْلِهِ: "وَالاسْتِفْهامُ لِطَلَبِ حُصولٍ في الذِّهْن، وَالْمَطْلوبُ حُصولُهُ في الذِّهْن، إِمّا أَنْ يَكونَ حُكْماً بِشَيْءٍ عَلى شَيْءٍ أَوْ لا يَكون. وَالأَوّلُ هُوَ **التَّصْديق**، وَيَمْتَنِعُ انْفِكاكُهُ مِنْ تَصَوُّرِ الطَّرَفَيْن، وَالثّاني هُوَ **التَّصَوُّر**، وَلا يَمْتَنِعُ انْفِكاكُهُ مِنَ التَّصْديق"[2]. وَقَريبٌ مِنْهُ ما ذَهَبَ إِلَيْهِ (الشَّريفُ الْجُرْجانِيّ) (٨١٦هـ) حينَما قال: "الاسْتِفْهامُ: اسْتِعْلامُ ما في ضَميرِ الْمُخاطَب، وَقيلَ: هُوَ طَلَبُ حُصولِ صورَةِ الشَّيْءِ في الذِّهْن، فَإِنْ كانَت تِلْكَ الصّورَةُ وُقوعَ نِسْبَةٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ لا وُقوعها، فَحُصولُها هُوَ **التَّصْديق**، وَإِلّا فَهُوَ **التَّصَوُّر**"[3].

التَّصَوُّرُ وَالتَّصْديقُ: لمحة تاريخيَّة

يَبْدو لِمَنْ يَتَتَبَّعُ الْمُصَنَّفاتِ النَّحْوِيَّةَ الْمُؤَلَّفَةَ في الْقُرونِ الْهِجْرِيَّةِ الْخَمْسَةِ الأولى، وَهِيَ الَّتي تُشَكِّلُ الْمَصادِرَ الأَصيلَةَ لِثَقافَتِنا العربيَّةِ الإِسْلامِيَّة[4]، أَنَّها خَلَتْ مِنَ الْمُصْطَلَحَيْنِ (التَّصَوُّر وَالتَّصْديق)[5].

---

(١) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٥.

(٢) السّابق نَفْسه.

(٣) الشّريف الجُرْجانِيّ، مُعْجَمُ التَّعْريفات، رقم (١٠٩)، ص١٨.

(٤) عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ، د. ط، ص٦، دار غريب لِلطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، القاهِرَة، ١٩٩٨.

(٥) انظر: هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٢٣-٢٤.

وَمُشْتَهِرٌ أَنَّ الْعُلَماءَ الأَوائِلَ لَمْ يَكونوا يُعْنَوْنَ كَثيراً بِوَضْعِ الْمُصْطَلَحات، وَلكِنَّ هذا لا يَعْني أَنَّهُمْ لَمْ يَتَناولوا الْمَفاهيمَ أَوِ الْمَضامينَ الَّتي لِتِلْكَ الْمُصْطَلَحات، فَـ(عَبْد القادِر حسين) يُؤَكِّدُ أَنَّ سيبَوَيْهِ (١٨٠هـ) قَد تَعَرَّضَ لِكَثيرٍ مِنْ صُوَرِ الْبَلاغَةِ "وَضَرَبَ لَها أَمْثِلَةً مُخْتَلِفَة، وَفَسَّرَها تَفْسيراً بَلاغِيّاً، بَلْ أَحْياناً نَراهُ يَتَناوَلُها بِعَيْنِ الطَّريقَةِ الَّتي سَلَكَها عُلَماءُ الْبَلاغَةِ مِنْ بَعْدُ في مَباحِثِهِم، غايَةُ الأَمْرِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَها أَسْماء اصْطِلاحِيَّة. وَذِكْرُ الْمُصْطَلَحاتِ في عَصْرِ سيبَوَيْهِ لَمْ يَكُنْ ذا شَأْنٍ خَطير، فَالْعُلومُ وَالْفُنونُ في الْقَرْنِ الثّاني لَمْ تَكُنْ قَد تَحَدَّدَتْ بَعْد أَوْ دَخَلَتْ في دَوْرِ التَّنْسيقِ وَالتَّصْنيف، وَالتَّقْسيم، وَوَضْعِ الْمُصْطَلَحات هُنا وَهُناكَ عُنْواناً عَلى كُلِّ قِسْم، وَتَمْييزاً لِهُ عَنْ سائِرِ الأَقْسام، وَإِنَّما كانَتِ الْعُلومُ وَالْفُنونُ وَقْتَئِذٍ مُتَداخِلَةً يَصُبُّ بَعْضُها في بَعْض، وَيُثْري بَعْضُها بَعْضاً"[١].

وَلَعَلَّ تَفْسيرَ هذا أَنَّ جُلَّ عِنايَةِ الْعُلَماءِ في ذلِكَ الْحين قَد تَوَجَّهَ إِلى جَمْعِ كُلِّ ما مِنْ شَأْنِهِ "إِثْراءُ اللُّغَةِ وَالْمُحافَظَةُ عَلى سَلامَتِها، وَإِبْراز جَمالِها، ... فَلَمْ يَطُفْ بِخاطِرِهِ[٢]، أَوْ بِأَذْهانِ الْمُعاصِرينَ لَهُ أَنْ يَفْصِلوا بَيْنَ هذا الْعِلْمِ أَوْ ذاك، أَوْ يَضَعوا مُصْطَلَحاً لِهذِهِ الفُنونِ أَوْ تِلْك"[٣]. وَمَعْلومٌ أَنَّ الثَّقافَةَ الْعَرَبِيَّةَ كانَتْ في ذلِكَ الْوَقْت شَديدَةَ التَّداخُلِ وَالتَّمازُج، فَاللُّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَلاغَةُ كُلُّها كانَت مُنْصَهِرَةً في بَوْتَقَةٍ واحِدَة: "فَالْمُصَنَّفُ الْواحِدُ لا يُعالِجُ عِلْماً مُحَدَّداً، وَإِنَّما هُوَ مَوْسوعَةٌ كامِلَة،

(١) عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ: ص١٢٩.
(٢) يَعْني سيبَوَيْه.
(٣) عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ: ص١٢٩.

تَشْمَلُ أَلْوانَ الثَّقافَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّها مِنْ أَدَبٍ وَلُغَةٍ، وَبَلاغَةٍ وَتَفْسير، وَنَحْوٍ وَتَصْريف، فَتُعْطي صورَةً كامِلَةً لِفَنِّ الْقَوْل، وَدِقَّةِ التَّعْبير، لأَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ الْعُلومِ لَمْ يَكُنِ الْمَرْمى الَّذي يَهْدِفُ إِلَيْهِ الْعُلَماءُ في هذِهِ الْفَتْرَةِ الْمُضيئَة، الْمُشْتَمِلَةِ عَلى عُيونِ كُلِّ فَنّ، وَرائِعِ كُلِّ لَوْن"[1]. وَلَمْ تَكُنْ لِلْبَلاغَةِ كُتُبٌ خاصَّةٌ حَتّى ذلِكَ الْحين، "وَإِنَّما هِيَ آراء مُبَعْثَرَةٌ مَنْثورَةٌ هُنا وَهُناك في كُتُبِ النَّحْوِ وَالتَّفْسيرِ وَاللُّغَة، فَنَحْوٌ وَصَرْف، بِجانِبِ بَلاغَةٍ، بِجانِبِ كَلامٍ في إِعْجازِ القُرْآن، بِجانِبِ آراء لُغَوِيَّةٍ وَنَقْدِيَّة"[2].

وَقَد تَوَصَّلَتْ (هناء إسماعيل العاني) إِلى أَنَّ الْمَناطِقَةَ كانوا أَسْبَقَ مِنَ الْبَلاغِيّينَ وَالنَّحْوِيّينَ في اسْتِعْمالِ الْمُصْطَلَحَيْنِ (التَّصَوُّر وَالتَّصْديق)[3]، وَهذا مُتَوَقَّعٌ وَمُتَناغِمٌ تَماماً مَعَ وَلَعِ الْمَناطِقَةِ الشَّديدِ في وَضْعِ التَّعْريفاتِ وَإِنْشاءِ التَّفْريعاتِ وَإِقامَةِ الْحُدودِ وَالْفُروق. وَقَدْ عُلِمَ عَنِ الْبَلاغِيّينَ تَأَثُّرُهُمُ الْكَبيرُ بِالْمَنْطِق، حَتّى لَقَدْ ذَهَبَ (أَحْمَد مَطْلوب) إِلى أَنَّ (السَّكّاكِيّ) هُوَ مَنْ أَدْخَلَ كَثيراً مِنَ الْمُصْطَلَحاتِ الْمَنْطِقِيَّةِ في الْبَلاغَةِ العربيَّة، نَتيجَةَ غَلَبَةِ النَّظْرَةِ العقليَّةِ وَسَيْطَرَةِ النَّزْعَةِ الجَدَلِيَّةِ عليهِ في (مِفْتاح العُلوم)[4]. صَحيحٌ أَنَّ (السَّكّاكِيّ) اسْتَفادَ مِنَ الْكِتاباتِ البلاغِيَّةِ الَّتي

---

(١) عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ: ص٥. وَانظر: هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٢٣- ٢٤.

(٢) عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ: ص٥.

(٣) انظر: هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٢٦.

(٤) أحمد مطلوب، البلاغة عند السَّكّاكِيّ، ط١، مَنْشورات مكتبة النَّهضة، بَغْداد، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م. نَقْلاً عَن: (هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة: ص٢٥).

سَبَقَتْهُ، بَيْدَ أَنَّهُ نَفَذَ مِنْها إِلى عَمَلٍ مُلَخَّصٍ دَقيقٍ لآراءِ مَنْ سَبَقوهُ مُضيفاً إِلَيْها بَعْضَ الأَفْكارِ الَّتي اسْتَطاعَها، "وَصاغَ ذلِكَ كُلَّهُ صِياغَةً مَضْبوطَةً مُحْكَمَةً اسْتَعانَ فيها بِقُدْرَتِهِ المَنْطِقِيَّةِ في التَّعْليلِ وَالتَّسْبيب وَفي التَّجْريدِ وَالتَّحْديد وَالتَّعْريفِ وَالتَّقْسيمِ وَالتَّفْريع وَالتَّشْعيب"[1].

إِذَنْ، فَعَنِ الْمَناطِقَةِ نَقَلَ الْبَلاغِيّونَ الْمُصْطَلَحَيْنِ وَاسْتَعْمَلوهُما، وَمِنَ الدَّرْسِ الْبَلاغِيِّ وَفَدَ الْمُصْطَلَحانِ إِلى الدَّرْسِ النَّحْوِيّ. وَإِذا كانَ النَّحْوِيّونَ آخِرَ مَنِ اسْتَعْمَلَ الْمُصْطَلَحَيْنِ (التَّصَوُّر وَالتَّصْديق)، فَإِنَّ سيبَوَيْهِ- حَسبَ مَلْحوظَةِ (قَيْس إِسْماعيل الأَوْسِيّ)- كانَ "أَوَّلَ مَنْ أَوْضَحَ الْفَرْقَ بَيْنَ الاسْتِفْهامِ عَنْ مَضْمونِ الْجُمْلَةِ، وَالاسْتِفْهامِ عَنْ تَعْيينِ الْمُفْرَد. فَقَدْ أَشارَ في الاسْتِفْهامِ عَنِ الْمُفْرَدِ إِلى أَنَّ السّائِلَ يَعْلَمُ بِحُصولِ أَوْ وُقوعِ النِّسْبَةِ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْه، وَإِنَّما هُوَ يَطْلُبُ التَّعْيين، وَالدَّليلُ عَلى ذلِكَ أَنَّ الْجَوابَ لا يَكونُ بِالنَّفْيِ أَوْ بِالإِيجاب، وَإِنَّما بِتَعْيينِ ما يسأل عَنْه"[2]. قالَ (سيبَوَيْه) في باب (هذا باب (أَمْ) إِذا كانَ الْكَلامُ بِها بِمَنْزِلَةِ أَيّهما وَأَيّهم): "وَذلِكَ قَوْلُك: (أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرو؟)، وَ(أَزَيْداً لَقيتَ أَمْ بِشْراً؟)، فَأَنْتَ الآنَ مُدَّعٍ أَنَّ عِنْدَهُ أَحَدَهُما، لأَنَّكَ إِذا قُلْتَ: (أَيُّهُما عِنْدَك؟)، وَ(أَيَّهُما لَقيتَ؟)، فَأَنْتَ مُدَّعٍ أَنَّ عِنْدَهُ أَحَدَهُما، لأَنَّكَ إِذا قُلْتَ: (أَيُّهُما عِنْدَك؟)، وَ(أَيَّهُما لَقيتَ؟)، فَأَنْتَ مُدَّعٍ أَنَّ الْمَسْؤولَ قَدْ لَقِيَ أَحَدَهُما أَوْ أَنَّ عِنْدَهُ أَحَدَهُما، إِلّا أَنَّ عِلْمَكَ قَدِ اسْتَوى فيهِما لا

(١) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم، مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق: ص١٩.

(٢) قَيْس إِسْماعيل الأَوْسِيّ، أَساليب الطَّلَب عِنْدَ النَّحْوِيّينَ وَالْبَلاغِيّين، ص٣١٥، وِزارَة التَّعليم العالي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيّ، جامِعَة بَغْداد/ بَيْت الْحِكْمَة، بَغْداد، ١٩٨٨.

تَدْري أَيُّهُما هو. وَالدَّليلُ عَلى أَنَّ قَوْلَكَ: (أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرٌو) بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: (أَيُّهُما عِنْدَك؟)، أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: (أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ بِشْرٌو؟)، فَقالَ الْمَسْؤولُ: لا، كانَ مُحالا، كَما أَنَّهُ إِذا قالَ: (أَيُّهُما عِنْدَكَ؟) فَقال: (لا)، فَقَدْ أَحال"[1].

(التَّصَوُّر وَالتَّصْديق) في اللُّغَةِ وَالاصْطِلاح

(التَّصْديق):

التَّصْديقُ في اللُّغَةِ قَبول الْقَوْل، أَوْ نِسْبَةُ الصِّدْقِ إِلى الْمُخْبِر. قالَ (ابْنُ مَنْظور) (٧١١هـ): "وَصَدَّقَهُ: قَبِلَ قَوْلَه... وَالْمُصَدِّقُ: الَّذي يُصَدِّقُكَ في حَديثِك. قالَ اللهُ- تَعالى- : ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾[2]، الصّادُ خَفيفَةٌ وَالدّالُ شَديدَة، وَهُوَ مِنْ تَصْديقِكَ صاحِبَكَ إِذا حَدَّثَك"[3]. وَقالَ (الشَّريف الجرجانِيّ): "التَّصْديق: أَنْ تَنْسِبَ بِاخْتِيارِكَ الصِّدْقَ إِلى الْمُخْبِر"[4]، وَقالَ (الكَفَوِيّ) (١٠٩٤هـ) بِلَفْظٍ قَريب: "(التَّصْديقُ) مَعْناهُ اللُّغَوِيُّ هُوَ أَنْ ينْسِبَ الصِّدْق إِلى الْمُخْبِرِ اخْتِياراً"[5].

---

(١) سيبَوَيْه، أَبوبِشْر عَمْرو بن عُثْمان بن قنبر، الكِتاب، تَحْقيق وَشَرْح: عبد السَّلام محمَّد هارون، د.ط، ١٦٩/٣، مكتبة الخانجي، القاهِرَة، ١٤١٢- ١٩٩٢م. وَانْظُر: هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٢٧.

(٢) الصّافّات ٣٧: ٥٢.

(٣) ابْن مَنْظور، لِسان الْعَرَب: (صدق).

(٤) الشّريف الجُرْجانِيّ، مُعْجَمُ التَّعْريفات، رقم (٤٧٤)، ص٥٤.

(٥) الكَفَوِيّ، أبو البَقاء أيّوب بن موسى الحسينيّ، الكُلِّيّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، قابله على نسخة خطِّيَّة وأعدَّه للطَّبع وَوَضَعَ فَهارِسَهُ: عدنان درويش ومحمَّد المصريّ، ط٢، ص٢١٢- ٢١٣، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت – لُبْنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

وَأَنْتَ حينَما "تُصَدِّقُ" الْخَبَر أَوِ الْمُخْبِرَ في خَبَرِه أَوْ حَديثِه، إِنَّما تَقومُ بِإِصْدارِ حُكْمٍ عَلى هذا الْخَبَرِ أَوِ الْحَديثِ الَّذي سَمِعْتَهُ مِنْه. وَهذا هُوَ عَيْنُ ما جاءَ في الاصْطِلاحِ مِنْ أَمْرِ (**التَّصْديق**)، فَالتَّصْديقُ هُوَ "الإِدْراكُ الْمُشْتَمِلُ عَلى الْحُكْم"، أَوْ هُوَ- كَما قالَ (السَّكّاكِيّ)- حُكْمٌ بِشَيْءٍ عَلى شَيْء، قال: "وَالاسْتِفْهامُ لِطَلَبِ حُصولٍ في الذِّهْن، وَالْمَطْلوبُ حُصولُهُ في الذِّهْن، إِمّا أَنْ يَكونَ حُكْماً بِشَيْءٍ عَلى شَيْء أَوْ لا يَكون. وَالأَوّلُ هُوَ **التَّصْديق**، وَيَمْتَنِعُ انْفِكاكُهُ مِنْ تَصَوُّرِ الطَّرَفَيْن"[1].

وَالْمَلْحوظُ أَنَّ هُناكَ نَوْعاً مِنَ الْمُغايَرَةِ بَيْنَ الْمَعْنى اللُّغَوِيِّ وَالْمَعْنى الاصْطِلاحِيِّ للتَّصْديق، ذلِكَ أَنَّ (**التَّصْديقَ**) في اللُّغَةِ هُوَ نِسْبَةُ **الصِّدْقِ** بِالْقَلْبِ أَوِ اللِّسانِ إِلى الْقائِل، وَهذا مُفْهِمٌ أَنَّ **التَّصْديقَ اللُّغَوِيَّ هُوَ ضِدُّ الإِنْكار وَالتَّكْذيب**[2]، فَإِذا كانَ التَّصْديقُ وَالتَّكْذيبُ مُتَخالِفَيْنِ لُغَوِيّاً لأَنَّهُما مُتَضادّان، فَإِنَّهُما مَشْمولانِ مَعاً في الْمُصْطَلَح: (الاسْتِفْهام التَّصْديقِيّ) أَوِ (الاسْتِفْهام الَّذي يُطْلَبُ بِهِ التَّصْديق). إِذِ الْمَقْصودُ بِهذا الْمُصْطَلَحِ ذلِكَ النَّوْعُ مِنَ الاسْتِفْهامِ الَّذي يُرادُ بِهِ، أَوْ يُرادُ مِنْهُ، طَلَبُ حُصولِ التَّصْديقِ مِنْ عَدَمِه، أَيِ التَّكْذيب. بِعِبارَةٍ أُخْرى: يُرادُ بِهِ طَلَبُ حُصولِ الإِثْباتِ أَوِ النَّفْي، لا طَلَبُ حُصولِ التَّصْديقِ وَحْدَه، أَمارَةُ هذا

---

(١) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٥.

(٢) التّهانوي، محمَّد علي، مَوْسوعَة كَشّاف اصْطِلاحاتِ الفُنونِ وَالعُلوم، تَقْديم وَإِشْراف ومُراجَعَة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نَقَلَ النَّصَّ الفارِسِيَّ إِلى العربيَّة: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيَّة: جورج زيناتي، ط١، ص٤٥١، مكتبة لبنان ناشِرون، بيروت- لُبْنان، ١٩٩٦.

قَوْلُ (السَّكّاكِيّ) عَنِ (**التَّصْديق**): إِنَّهُ "طَلَبُ تَعَيُّنِ الثُّبوتِ أَوِ الانْتِفاءِ في مقامِ التَّرَدُّد"[1]. فَإِذا سَأَلَ شَخْصٌ آخَرَ –مَثَلاً– : "أَذَهَبَ مُحَمَّدٌ إِلى السّوق؟"، فَلا شَكَّ أَنَّ السّائِلَ يَطْلُبُ مِنَ الْمُخاطَبِ، أَوِ الْمَسْؤول، أَنْ يُصَدِّقَ ذَهابَ مُحَمَّدٍ إِلى السّوقِ أَوْ يُكَذِّبَه، أَوْ أَنْ يُثْبِتَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ، وَهذا هُوَ عَيْنُ الْمُرادِ مِنْ مُصْطَلَحِ (الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ). وَيَبْدو أَنَّ (**التَّصْديق**) ما خُصَّ بِالذِّكْرِ وَالإِفْرادِ في الْمُصْطَلَحِ– **دونَ التَّكْذيبِ**– إِلّا لأَسْبابٍ مِنْها الاخْتِصار، وَلأَنَّ التَّصْديقَ يُمَثِّلُ الْجانِبَ الْمَرْغوبَ فيهِ دائِماً مِنَ الْوِجْهَةِ الأَخْلاقِيَّة. وَلكِنَّ (التَّصْديق) لُغَةً– كَما سَبَقَ– هُوَ أَنْ تَنْسِبَ الصِّدْقَ دونَ الْكَذِبِ إِلى الْخَبَرِ أَوِ الْمُخْبِر.

وَمِنْ هُنا نَلْحَظُ أَنَّ الْمَعْنى الاصْطِلاحِيَّ للتَّصْديقِ قَدْ نُقِلَ مِنَ الْمَعْنى اللُّغَوِيِّ وَلكِنْ بِتَوْسيعِ دِلالَتِه، فَقَدِ انْتَقَلَ مُصْطَلَحُ (التَّصْديق) مِنَ الْمَعْنى اللُّغَوِيِّ الدّالِّ عَلى نِسْبَةِ الصِّدْقِ إِلى الْقائِل، وَالصِّدْقُ هُوَ ضِدُّ الإِنْكارِ وَالتَّكْذيب– كَما أَسْلَفْتُ– ، إِلى الْمَعْنى الاصْطِلاحِيِّ الأَوْسَعِ بِدِلالَتِهِ عَلى طَلَبِ تَعْيينِ الثّبوتِ أَوِ الانْتِفاء، أَوِ التَّصْديقِ أَوِ التَّكْذيب.

(التَّصَوُّر):

أَمّا (**التَّصوُّرُ**) في اللُّغَة فَهُوَ الَّذي لا يَكونُ حُكْماً بِشَيْءٍ عَلى شَيْءٍ، كَما قالَ (السَّكّاكِيّ)[2]، أَوْ هُوَ اسْتِحْضارُ صورَةِ الشَّيْءِ في الذِّهْن، أَوْ "حُصولُ صورَةِ الشَّيْءِ في الْعَقْل"[3]، مِنْ قَوْلِهِم: "تَصَوَّرْتُ الشَّيْءَ:

(١) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٨.
(٢) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٥.
(٣) الشّريف الجُرْجانِيّ، مُعْجَمُ التَّعْريفات، رقم (٤٧٢)، ص٥٣.

تَوَهَّمْتُ صورَتَهُ فَتَصَوَّرَ لي... قالَ ابْنُ الأَثير: الصّورَةُ تَرِدُ في كَلامِ الْعَرَبِ عَلى ظاهِرِها وَعَلى مَعْنى حَقيقَةِ الشَّيْءِ وَهَيْئَتِهِ وَعَلى مَعْنى صِفَتِه. يُقالُ: صورَةُ الفِعْلِ كَذا وَكَذا، أَيْ هَيْئَتُه، وَصورَةُ الأَمْرِ كَذا وَكَذا أَيْ صِفَتُه"[1].

وَما حُصولُ صورَةِ الشَّيْءِ في الْعَقْلِ إِلّا إِدْراكٌ مُجَرَّدٌ لَه- في حَقيقَةِ الأَمْر- ، مِنْ هُنا جاءَ تَعْريفُ (**التَّصَوُّر**) في الاصْطِلاحِ عَلى أَنَّهُ "إِدْراك الْماهِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْها بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبات"[2]، أَوْ هُوَ "إِدْراكُ الشَّيْءِ إِدْراكاً ساذجاً". وَقَدْ ذَكَرَ (التّهانوي) (القرن ١٢ الهجريّ) أَنَّ (**التَّصَوُّرَ**) إِدْراك، ثُمَّ رَآهُ عَلى أَنْواعٍ سِتَّة: "قَدْ يَكونُ تَصَوُّراً واحِداً كَتَصَوُّرِ (الإِنْسان)، وَقَدْ يَكونُ مُتَعَدِّداً بِلا نِسْبَةٍ كَتَصَوُّرِ (الإِنْسانِ وَالْكاتِب)، وَقَدْ يَكونُ مُتَعَدِّداً مَعَ نِسْبَةٍ إِمّا تَقْييدِيَّةٍ أَيْ غَيْرِ تامَّة وَهِيَ عَلى قِسْمَيْن: تَوْصيفِيَّة وَإِضافِيَّة كَـ(الْحَيَوان النّاطِق) وَ(غُلام زَيْد)، وَإِمّا تامَّة غَيْر خَبَرِيَّة كَقَوْلِك: (اضْرِب)، وَإِمّا خَبَرِيَّة يُشَكُّ فيها أَوْ مَرْجوح فيها، فَإِنَّ كُلَّ ذلِكَ مِنَ التَّصَوُّرات لِخُلُوِّها عَنِ الْحُكْم"[3].

وَقَدْ ذَهَبَ (ابْنُ سينا) (٤٢٨هـ) إِلى أَنَّ (**التَّصَوُّرَ**) أَساسُ (**التَّصْديق**)، فَأَنْتَ تَتَصَوُّرُ أَوَّلاً لِتُصَدِّقَ ثانِياً، وَالْعَكْسُ غَيْرُ صَحيحٍ عِنْدَه، قال: "التَّصَوُّرُ مَبْدَأٌ لِلتَّصْديق، فَإِنَّ كُلَّ ما يُصَدَّقُ بِهِ فَهُوَ مُتَصَوَّرٌ أَوَّلاً، وَلا

(١) ابْن مَنْظور، لِسان الْعَرَب: (صور).
(٢) الشّريف الجُرْجانِيّ، مُعْجَمُ التَّعْريفات، رقم (٤٧٣)، ص٥٣.
(٣) التّهانوي، مَوْسوعَة كَشّاف اصْطِلاحاتِ الفُنونِ وَالعُلوم: ص٤٥٥.

يَـنْعَكِس"[1]. وَلَعَلَّـهُ إِنَّمـا يَنْطَلِـقُ في هـذا مِـنَ الْمُـسَلَّمَةِ المَنْطِقِيَّـةِ الَّـتي تَـرى "وُجوبَ تَقْديمِ التَّصَوُّرِ وَضْعاً كَما أَنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ طَبْعـاً، لأنَّ كُـلَّ تَـصْديقٍ لا بُدَّ مَعَهُ مِنْ تَصَوُّر، **إِذِ الْحُكْمُ عَلى الشَّيْءِ فَرْعٌ عَنْ تَـصَوُّرِه**"[2]. وَلأَجْـلِ هذا- رُبَّما- **عَرَّفَ بَعْـضُ الْمَناطِقَةِ التَّصْديقَ بِأَنَّهُ تَـصَوُّرٌ مَعَـهُ حُكْـم**: "**فَالتَّـصْديقُ أَيْـضاً تَـصَوُّرٌ وَلكِنَّـهُ تَـصَوُّرٌ يَـسْتَتْبِعُ الْحُكْـمَ** وَقَناعَـةَ الـنَّفْسِ وَتَصْديقَها"[3]. وَلكِنَّ بَعْضَ الْمَناطِقَةِ عَكَسَ فَقَدَّمَ التَّصْديقَ عَلى التَّصَوُّر، لا كَما قالَ (ابْنُ سينا)، وَذلِكَ لأَنَّ "التَّصْديق وُجودِيّ وَالتَّصَوُّر عَـدَمِيّ، وتَصَوُّر الْوُجودِ سابِقٌ عَلى تَصَوُّرِ الْعَدَم"[4].

وَأَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ (**التَّصْديق**) مُؤَسَّسٌ عَلى (**التَّصَوُّرِ**)، صَحيحٌ جِدّاً، فَأَنْتَ حينَما تَسْأَلُ **سُؤالاً تَصْديقِيّاً** كَمِثْلِ: (أَسافَرَ مُحَمَّـدٌ؟)، فَإِنَّـكَ تَنْطَلِقُ مِنْ **تَصَوُّرِ** شَيْئَيْنِ هُما (الـسَّفَرُ) وَ(مُحَمَّـد) وَلكِـنْ مِـنْ غَيْـرِ أَنْ تَعْـرِفَ

---

(١) ابْـن سـينا، أَبـو عَلـيّ الْحُـسَيْن بـن عبـدِ الله، التَّعْليقـات، تَحْقيـق وَتَقْـديم: حَـسَن مَجيـد العُبَيْدِيّ، د.ط، ص٦٣، دار الفرقد، دِمَشْق- سوريا، ٢٠٠٩.

(٢) الأخضري، شَرْح العَلّامة الأَخْـضَرِيّ على سلَّمه في عِلْـمِ الْمَنْطِق، د. ط، ص٩، كتاب إلكترونـي بـصيغة وورد منقـول مـن طبعـة البـابي الحلـبي، د.ت. وَقَـدْ ذَهَـبَ (إبـراهيم الأنصاري) إِلى أَنَّ كُلَّ تصديق يَتَوَقَّفُ على تصوُّرات ثلاثة هي: ١. تَصوُّر الموضوع، ٢. تَصوُّر المحمول، ٣. تَصوُّر النِّسبة (انظر: إبراهيم الأنصاري، دُروس في عِلْمِ المَنْطِق، د.ط، كِتاب إلكترونيّ (دون ترقيم صفحات)، د.ت، مَبْحَث التَّصَوُّر والتَّصْديق):
http://www.elibrary٤arab.com/ebooks/manteq-w-falsafa/droos-manteq/tasawr-tasdeeq.htm

(٣) محمَّد رِضا المظفر، المنطق، د.ط، ص١٧، دار التَّعارُف لِلْمَطْبوعات، د.م، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٤) الموقع: https://sites.google.com/site/tarekprofv٣/ts١

وُجودَ نِسْبَةٍ بَيْنَهُما. إِلّا أَنَّ الأَمْرَ لُغَوِيّاً- في ما يَظْهَر- قَدْ يَنْعَكِس، ذلِكَ أَنَّكَ حينَ تَسْأَلُ **سُؤالاً تَصَوُّرِيّاً** مِثْلَ: (مَنْ سافَرَ؟)، فَإِنَّكَ تَكونُ قَدِ انْطَلَقْتَ مِنَ (**التَّصْديقِ**) بِالسَّفَر، أَوِ **التَّصْديقِ** بِأَنَّ أَحَداً ما قَدْ سافَر، غَيْرَ أَنَّكَ تَجْهَلُ مَنْ يَكونُ هذا الْمُسافِر، فَلَكَأَنَّكَ هاهُنا تُسْنِدُ السَّفَرَ إِلى أَحَدٍ ما، فَيَكونُ إِسْنادُكَ السَّفَرَ إِلى أَحَدِهِمْ **تَصْديقاً**. وَقِيامُ التَّصَوُّرِ عَلى التَّصْديقِ أَكْثَرُ ما يَتَجَلّى في السُّؤالِ التَّصَوُّرِيّ الَّذي تُؤَدّيهِ الْهَمْزَة في نَحْو: (أَخالِدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَبْدُ الله؟)، فَلَيْسَ مَعْناهُ سِوى أَنَّ أَحَدَ الْمَذْكورَيْنِ عِنْدَك، وَلا أَدْري إِنْ كانَ بَعْضُ هذا الفَهْمِ- في الأَقَلّ- هُوَ ما عَناهُ (السَّكّاكِيّ) في قَوْلِهِ: إِنَّ التَّصَوُّرَ "لا يَمْتَنِعُ انْفِكاكُهُ مِنَ التَّصْديق"[1].

وَقَدْ لَخَّصَ (الكَفَوِيّ) التَّصَوُّرَ وَالتَّصْديقَ بِقَوْلِهِ: "التَّصْديق: إِدْراكُ الْكُلِّيّات، وَالتَّصَوُّر: إِدْراكُ الْجُزْئِيّات"[2]، وَهذا بِالضَّبْطِ ما هُوَ مُنْطَبِقٌ عَلى الاسْتِفْهامِ في الدَّرْسِ النَّحْوِيّ، إِذِ الاسْتِفْهامُ التَّصْديقِيّ- بِعِبارَةٍ أُخْرى- هُوَ الاسْتِفْهامُ عَنِ الْجُمَل (الكُلِّيّات)، وَأَمّا الاسْتِفْهامُ التَّصَوُّرِيُّ فَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِالاسْتِفْهامِ عَنِ الْمُفْرَداتِ أَوِ الْكَلِمات (الجُزْئِيّات). وَقَدْ قَسَّمَ (برجشتراسر) الاسْتِفْهامَ في اللُّغاتِ إِلى قِسْمَيْن: الأَوَّل هُوَ اسْتِفْهامٌ عَنْ كَلِمَة، وَالثّاني: اسْتِفْهامٌ عَنْ جُمْلَة. وَجَوابُ الأَوَّلِ- بِطَبيعَةِ الْحال- كَلِمَة، وَهُوَ الْمُسَمّى **بِالتَّصَوُّرِ أَوِ الاسْتِفْهامِ**

(١) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٥.
(٢) الكَفَوِيّ، الكُلِّيّات: ص٢٩١.

التَّصَوُّرِيّ. وَأَمّا الاسْتِفْهامُ الثّاني، فَجَوابُهُ جُمْلَةٌ مثصَدَّرَةٌ بِـ(نَعَمْ) أَوْ (لا)، وَهُوَ الْمُسَمّى **بِالتَّصْديقِ أَوِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ**[1].

(الْهَمْزَةُ) وَ(هَلْ): الاتِّفاق وَالافْتِراق

حَصَرَ (السَّكّاكِيّ) أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ قائِلاً: "لِلاسْتِفْهامِ كَلِماتٌ مَوْضوعَة وَهِيَ: الهَمْزَة، وَأَمْ، وَهَلْ، وَما، وَمَنْ، وَأَيّ، وَكَمْ، وَكَيْفَ، وَأَيْنَ، وَمَتى، وَأَيّانَ، بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبِكَسْرِها"[2]. ثُمَّ ما لَبْثَ أَنْ صَنَّفَها إِلى ثَلاثَةِ أَنْواع: "**أَحَدها: يَخْتَصُّ طَلَبَ حُصولِ التَّصَوُّر، وَثانيها: يَخْتَصُّ طَلَبَ حُصولِ التَّصْديق، وَثالِثها: لا يَخْتَصّ**"[3]. **وَالْهَمْزَةُ هِيَ النَّوْعُ الأَخيرُ غَيْرُ الْمُخْتَصّ**، إِذْ هِيَ أَداةُ الاسْتِفْهامِ الْوَحيدَةُ الَّتي تَأْتي لِلنَّوْعَيْن، لأَنَّهُ قَدْ يُطْلَبُ بِها التَّصْديقُ كَما قَدْ يُطْلَبُ بِها التَّصَوُّر، قال: "وَالْهَمْزَةُ مِنَ النَّوْعِ الأَخير، تَقولُ في طَلَبِ التَّصْديقِ بِها: أَحَصَلَ الانْطِلاق؟ وَ: أَزَيْدٌ مُنْطَلِق؟ وَفي طَلَبِ التَّصَوُّرِ بِها في طَرَفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْه: أَدِبْسٌ في الإِناءِ أَمْ عَسَل؟ وَفي طَرَفِ الْمُسْنَدِ: أَفي الْخابِيَةِ دِبْسُكَ أَمْ في الزِّقّ؟ فَأَنْتَ في الأَوَّلِ تَطْلُبُ تَفْصيلَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمَظْروف، وَفي الثّاني تَطْلُبُ تَفْصيلَ الْمُسْنَدِ، وَهُوَ الظَّرْف"[4].

---

(١) اُنْظُرْ: برجشتراسر، التَّطَوُّرُ النَّحْوِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّة، أَخْرَجَهُ وَصَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه: رَمَضان عبد التَّوّاب، ط٢، ص١٦٥، مكتبة الخانجي، القاهِرَة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٢) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٨.

(٣) السّابق نَفْسه.

(٤) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤١٨- ٤١٩.

أَمّا (هَلْ)، فَهِيَ النَّوْعُ الثّاني الَّذي لا يُطْلَبُ بِهِ إِلّا التَّصْديق، أَوْ هِيَ الأَداةُ الْوَحيدَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِطَلَبِ التَّصْديقِ في العربيَّة، "كَقَوْلِك: هَلْ حَصَلَ الانْطِلاق؟ وَ: هَلْ زَيْدٌ مُنْطَلِق؟ وَلاخْتِصاصِهِ بِالتَّصْديقِ امْتَنَعَ أَنْ يُقال: هَلْ عِنْدَكَ عَمْرٌو أَمْ بِشْر؟ بِاتِّصالِ (أَمْ)، دونَ: أَمْ عِنْدَكَ بِشْر؟ بِانْقِطاعِها"[1]. فَإِذا كانَتِ (الْهَمْزَةُ) آتِيَةً لِلتَّصَوُّرِ وَالتَّصْديق- عَلى حَدٍّ سَواء- ، وَكانَتْ (هَلْ) لِلتَّصْديقِ حَسْب، تَأَسَّسَ عَلَيْهِ أَنْ تَشْتَرِكَ (هَلْ) مَعَ (الْهَمْزَةِ) في طَلَبِ التَّصْديقِ دونَ غَيْرِهما مِنْ سائِرِ الأَدَوات. قالَ الْمُرادِيّ (٧٤٩هـ): "فَأَمّا هَمْزَةُ الاسْتِفْهامِ فَهِيَ حَرْفٌ مُشْتَرَك: يَدْخُلُ عَلى الأَسْماءِ وَالأَفْعال، لِطَلَبِ تَصْديق، نَحْوَ: أَزَيْدٌ قائِمٌ؟ أَوْ تَصَوُّر، نَحْوَ: أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرٌو؟ وَتُساويها (هَلْ) في طَلَبِ التَّصْديقِ الْموجب، لا غَيْر"[2]. وَأَمّا الأَدَواتُ الأُخْرى مِنْ غَيْرِ (الْهَمْزَةِ) وَ(هَلْ)، وَهِيَ: (ما) وَ(مَنْ) وَ(أَيّ) وَ(كَمْ) وَ(أَيْنَ) وَ(كَيْفَ) وَ(أَنّى) وَ(مَتى) وَ(أَيّانَ)، **فَمِنَ النَّوْعِ الأَوَّلِ الْمُخْتَصِّ بِطَلَبِ حُصولِ التَّصَوُّر**[3].

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ هِشامٍ (٧٦١هـ)، في هذا السِّياق، أَمْرَيْنِ هُما الْغايَةُ في الأَهَمِّيَّة: **الأَوَّل: ما تَخْتَصُّ بِهِ (هَمْزَةُ الاسْتِفْهامِ) مِنْ أَحْكام، وَهِيَ أَرْبَعَة، وَالثّاني: الأَوْجُهُ الَّتي تَفْتَرِقُ بِها (هَلْ) مِنَ الْهَمْزَة، وَهِيَ عَشْرَة.**

---

(١) السّابِق: ص٤١٩.

(٢) الْمُرادِيّ، الْحَسَن بْن قاسِم، الجَنى الدّاني في حُروفِ الْمَعاني، تحْقيق: فخر الدّين قباوة وَمحمَّد نَديم فاضِل، ط١، ص٣٠، دار الكُتُب العلميَّة، بيروت- لُبْنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٣) السَّكّاكِيّ، مِفْتاحُ العُلوم: ص٤٢٠.

أَوَّلاً: ما تَخْتَصُّ بِهِ الْهَمْزَةُ:

وَأَمّا الأَحْكام الأَرْبَعَةُ الَّتي تَخْتَصُّ بِها الهَمْزَة، فَهِيَ: **الأَوَّل: جَوازُ حَذْفِها**، سَواء تَقَدَّمَتْ عَلى (أَمْ)، كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَة:

فَوَاللهِ ما أَدْري وَإِنْ كُنْتُ داريـاً بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ؟(١)

وَالتَّقْدير: أَبِسَبْعٍ، أَوْ لَمْ تَتَقَدَّمْها، كَقَوْلِ الْكُمَيْت (١٢٦هـ):

طَرِبْتُ وَما شَوْقاً إِلى البيضِ أَطْرَبُ وَلا لَعِباً مِنّي، وَذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟(٢)

أَرادَ: أَوَذو(٣) الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

وَالْحُكْمُ الثّاني الَّذي تَخْتَصُّ بِهِ الْهَمْزَة: أَنَّها قَدْ يُطْلَبُ بِها التَّصَوُّرُ أَوِ التَّصْديق: "تَرِدُ لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ، نَحْوَ: (أَزَيْدٌ قائِمٌ أَمْ عَمْرٌو؟)، وَلِطَلَبِ التَّصْديق، نَحْوَ: (أَزَيْدٌ قائِمٌ؟). وَ(هَلْ) مُخْتَصَّةٌ بِطَلَبِ التَّصْديق نَحْوَ: (هَلْ قامَ زَيْد؟). وَبَقِيَّةُ الأَدَواتِ مُخْتَصَّةٌ بِطَلَبِ التَّصَوُّر نَحْوَ: مَنْ جاءَك؟

---

(١) نَسَبَ (سيبَوَيْهِ) الْبَيْتَ لِعُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَة (انظر: سيبَوَيْه، الْكِتاب: ١٧٥/٣). وَرِوايَةُ الْبَيْتِ في الدّيوان عَلى النَّحْو:

فَوَاللهِ ما أَدْري وَإِنّي لَحاسِبٌ ... بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ

(عُمر بن أَبي رَبيعَة، ديوانُ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَة، د. ط، دارُ الْقَلَم، بَيْروت- لُبْنان، د.ت).

(٢) الْكُمَيْت، الكُمَيْت بن زيدٍ الأَسَدِيّ، ديوانُ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ الأَسَدِيّ، جَمْع وَشَرْح وَتَحْقيق: محمَّد نَبيل طريفي، ط١، ص٥١٢، دار صادِر، بَيْروت، ٢٠٠٠م.

(٣) وَجَدتُّها في (مُغْني اللَّبيب) مُثْبَتَةً هكَذا: (أَوَ ذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟)، بِمسافَةٍ تَفْصِلُ بَيْنَ (أَوَ) وَ(ذو)، مَعَ أَنَّ الْواوَ- باتِّفاق- هِيَ الْعاطِفَة، وَالْواوُ الْعاطِفَةُ في العربيَّةِ وَإِنْ كانَتْ لُغَوِيّاً كَلِمَةً مُسْتَقِلَّةً، فَلَيْسَ لَها اسْتِقْلالٌ إِمْلائِيّاً، كَالفاءِ تَماماً، فَهَلْ إِذا ما قيلَتِ الْعِبارَةُ بِالْفاءِ نَكْتُبُها هكَذا: (أَفَ ذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟)؟ بِالتَّأْكيدِ لا! (انظر: ابن هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ١/ ٧٦).

وَما صَنَعْتَ؟ وَكَمْ مالُكَ؟ وَأَيْنَ بَيْتُكَ؟ وَمَتى سَفَرُك؟"[1]. **وَالثّالِثُ: دُخولُها عَلى الإِثْباتِ- كَما تَقَدَّم- ، وَالنَّفْي** كَقَوْلِ مَوْلانا- سُبْحانَه- : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك)[2]. **وَالرّابِع: تَمامُ التَّصْدير**، بِدَليلَيْن: أَحَدهما: أَنَّها لا تُذْكَرُ بَعْدَ (أَمْ) الَّتي للإِضْراب كَما يُذْكَرُ غَيْرُها، فَلا نَقول: (أَقامَ زَيْدٌ أَمْ **أَقْعَد**؟)، بَيْدَ أَنّنا نَقول: (...أَمْ **هَلْ قَعَد؟**). وَالدَّليل الثّاني: أَنَّها إِذا كانَت في جُمْلَةٍ مَعْطوفَةٍ بِالْواو أَوْ بِالْفاء أَوْ بِـ)ثُمَّ)، قُدِّمَتْ عَلى الْعاطِف، تَنبيهاً عَلى أَصالَتِها في التَّصْدير، نَحْوَ: (أَوَلَمْ يَنْظُروا)[3]، (أَفَلَمْ يَسيروا)[4]، (أَثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِه)[5]، غَيْرَ أَنَّ أَخواتِها كُلَّها تَتَأَخَّرُ عَن الْعاطِف: (وَكَيْفَ تَكْفُرون)[6]، (فَأَيْنَ تَذْهَبون)[7]، (فَأَنّى تُؤْفَكون)[8]، (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الفاسِقون)[9]، (فَأَيُّ الْفَريقَيْن)[10]، ...

---

(١) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٨٢/١.
(٢) الشَّرح: ١/٩٤.
(٣) الأَعْراف: ١٨٥/٧.
(٤) يوسف: ١٠٩/١٢.
(٥) يونس: ٥١/١٠.
(٦) آل عمران: ١٠١/٣.
(٧) التَّكوير: ٢٦/٨١.
(٨) الأَنْعام: ٩٥/٦.
(٩) الأَحْقاف: ٣٥/٤٦.
(١٠) الأَنْعام: ٨١/٦.

ثانياً: أَوْجُهُ افْتِراقِ (هَلْ) مِنَ (الْهَمْزَة):

وَرغْـمَ أَنَّ (الْهَمْـزَةَ) وَ(هَـلْ) هُمـا الأَداتـانِ الْوَحيـدَتانِ اللَّتـانِ تَـرِدانِ لِلتَّصْديق، فَإِنَّ (هَلْ) تَفْتَرِقُ مِنَ الْهَمْزَةِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُه- حَسبَ ما ذَكَرَ (ابْنُ هِشام)[1]- ، هذِهِ الأَوْجُهُ الْعَشْرَةُ هي:

١. اخْتِصاصها بِالتَّصْديق، أَمّا (الْهَمْـزَة)- كَما كَرَّرْنا الْقَوْل- ، فَمُخْتَصَّةٌ بِالتَّصَوُّرِ وَالتَّصْديق.

٢. اخْتِصاصها بِالإيجاب: فَإِنَّنا نَقول: (هَلْ زَيْدٌ قائِمٌ؟)، وَلا نَقول: (❖**هَل لَمْ** يَقُم؟). أَمّا (الْهَمْزَة)، فَلِلإيجابِ وَالنَّفْي: ﴿ **أَلَمْ** أَقُلْ لَكُمْ إِنّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[2]، ﴿ **أَلَنْ** يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلين﴾[3]، ﴿ **أَلَيْسَ** اللهُ بِكافٍ عَبْدَه﴾[4]، ﴿**أَلا** تُحِبّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم﴾[5].

٣. تَخْصيصها الْمُضارِعَ بِالاسْتِقْبال: فَالْقَوْلُ: (هَلْ تُسافِر؟) دالٌّ عَلى الاسْتِقْبال، أَمّا الْقَوْل: (أَتَظُنُّهُ قائِماً؟)، فَيَعْني: (أَتَظُنُّهُ الآنَ قائِماً؟)- في الْحال أَوْ زَمَن التَّكَلُّم- .

---

(١) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٤/٣٢٥- ٣٣٥.
(٢) البَقَرَة: ٢/٣٣.
(٣) آل عِمْران: ٣/١٢٤.
(٤) الزُّمَر: ٣٩/٣٦.
(٥) النّور: ٢٤/٢٢.

٤. عَدَم دُخولِها عَلى الشَّرْط، بِخِلافِ (الْهَمْزَة) الَّتي تَدْخُل: ﴿ **أَفَإِنْ** مِتَّ فَهُمُ الْخالِدون﴾[١].

٥. عَدَم دُخولِها عَلى (إِنَّ)، بِخِلافِ (الْهَمْزَة) الَّتي يَصِحُّ دُخولُها نَحْوَ: ﴿ **أَإِنَّكَ** لأَنْتَ يوسُفُ﴾[٢].

٦. عَدَم دُخولِها عَلى اسْمٍ بَعْدَهُ فِعْل، بِخِلافِ (الْهَمَزَة) كَما في قَوْلِ الْحَقِّ- تَبارَكَ- : ﴿ **أَبَشَراً** مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ﴾[٣].

٧. وُقوعُها بَعْدَ الْعاطِفِ لا قَبْلَه، نَحْوَ: ﴿ **فَهَلْ** يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الفاسِقون﴾[٤].

٨. وُقوعُها بَعْدَ (أَمْ)، كَما في الآيَةِ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوي الأَعْمى وَالْبَصيرُ **أَمْ هَلْ** تَسْتَوي الظُّلُماتُ وَالنّورُ﴾[٥].

٩. دِلالَتُها على النَّفْي، وَلِذلِكَ جاءَتْ بَعْدَها (إِلّا) في قَوْلِهِ- جَلَّ: ﴿هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلّا الإِحْسان﴾[٦]، "مَعْناهُ: ما جَزاءُ الإِحْسانِ إِلّا الإِحْسان"[٧].

---

(١) الأَنْبياء: ٣٤/٢١.

(٢) يوسُف: ٩٠/١٢.

(٣) القَمَر: ٥٤: ٢٤.

(٤) الأَحْقاف: ٣٥/٤٦.

(٥) الرَّعْد: ١٦/١٣.

(٦) الرَّحْمن: ٦٠/٥٥.

(٧) الهَرَوِيّ، عَلِيّ بن محمَّد النَّحْوِيّ، كِتابُ الأُزْهِيَّة في عِلْمِ الْحُروف، تَحْقيق: عبد المُعين المَلّوحي، ط٢، ص٢٠٩، مَجْمع اللُّغة العربيَّة، دِمَشْق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٠. دِلالَتُها عَلى التَّحْقيقِ مِثْلَ (قَدْ): كَما في قَوْلِهِ- تَعالى- حَسبَ رَأْيِ جَماعَة: ﴿ هَلْ أَتى عَلى الإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً ﴾[١].

وَقَدْ قيلَ إِنَّ مِنَ الْفُروقِ بَيْنَ (الهَمْزَةِ) وَ(هَلْ) "أَنَّ الْهَمْزَةَ لا يُسْتَفْهَمُ بِها، إِلّا وَقَدْ هَجَسَ في النَّفْسِ إِثْباتُ ما يُسْتَفْهَمُ بِها عَنْه، بِخِلافِ (هَلْ)، فَإِنَّهُ لا يَتَرَجَّحُ عِنْدَهُ لا النَّفْيُ وَلا الإِثْبات"[٢].

* * *

(١) الإِنْسان: ١/٧٦.
(٢) الْمُرادِيّ، الجَنى الدّاني في حُروفِ الْمَعاني: ص٣٤٣.

المُقدِّمَة

أَهَمِّيَّةُ الْبَحْث وَأَسْبابُ اخْتِيارِ الْمَوْضوع:

كَـثيرَةٌ هِـيَ الأَدَواتُ الَّـتي أَلْفَيْناهـا ذاتَ دِلالَـةٍ أَوْ وَظيفَـةٍ واحِـدَةٍ في الْعَرَبِيَّـة- وَإِنْ في الظّـاهِرِ أَحْيانـاً- ، فَاللّـامُ (لِـ) تَـأْتي لِلتَّعْليـل، وَمِثْلُها (كَـيْ)، وَنَظيرَتُهُما (حَتّى). وَالْكافُ (كَـ) تَـأْتي لِلتَّشْبيه، وَمِثْلُها (مِثْل). وَ(مـا) وَ(لَـمْ) تُوَظَّـفُ كِلْتاهُمـا لِنَفْـيِ الْماضـي[1]. وَإِذا كـانَ مِـنَ الْمُسْتَغْرَبِ- نَوْعـاً مـا- أَنْ توجِدَ اللُّغَةُ أَدَواتٍ لَها الدِّلالَـةُ أَوِ الْوَظيفَةُ نَفْسُها، فَـإِنَّ مِـنَ الْمُسْتَغْرَبِ أَكْثَـرَ أَنْ تُعاقِـبَ اللُّغَـةُ في الاسْـتِخْدامِ، في السِّلْسِلَةِ الْكَلامِيَّةِ الْواحِدَةِ، بَيْنَ تِلْـكَ الأَدَواتِ جَنْبـاً. بِمَعْنى أَنَّنـا نَشْهَدُ تَتابُعـاً لِتِلْـكَ الأَدَواتِ في الْجُمْلَـةِ الْواحِـدَة: (لِـ)+(كَـيْ)- > (لِكَـيْ)، وَ(كَ)+(مِثْل)- > (كَمِثْلِ)!

وَيَـأْتي هـذا الْبَحْـثُ الْحـالِيُّ، في هـذا الـسِّياقِ، لِيَـدْرُسَ الأَداتَـيْنِ الْوَحيـدَتَيْنِ المـضطلِعَتَيْنِ بِالاسْـتِفْهامِ التَّـصْديقِيِّ في العربيَّـة: (الْهَمْـزَة) وَ(هَل)، مِنْ جِهَةِ الأَصالَةِ التّاريخِيَّةِ لإِحْداهُما، إِذْ مِـنَ الـضَّروريِّ لِمَعْرِفَةِ تاريخِ العَرَبِيَّةِ، وَتَدَرُّجِها في مَدارِجِ التَّطَوُّرِ وَالتَّرَقّي عَبْرَ الْمَراحِلِ الزَّمَنِيَّةِ الْمُتَعاقِبَة، أَنْ يُسْأَلَ بِشَأْنِهِما غَيْرُ سُؤالٍ مُلِحّ:

١. ما الأَداةُ الأَقْدَمُ في التَّعْبيرِ عَنِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ؟ أَهِيَ (الْهَمْزَةُ) أَمْ (هَلْ)؟

---

(١) اُنْظُرْ كَلاماً مُسْتَفيضاً دَقيقاً في الْفَرْقِ بَيْنَ (ما) وَ(لَم) النّافِيَتَيْنِ في: فاضل صالح السّامرّائيّ، مَعـاني النَّحْـو، ط١، ٤/١٩٣- ١٩٨، دار الفكـر للطّباعَـة وَالنَّـشْر وَالتَّوْزيـع، عَمّان/الأُرْدُنّ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢. هَلْ صَحيحٌ ما ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّحْوِيّونَ الْعَرَبُ مِنْ أَنَّ (الهَمْزَةَ) لَها الأَصالَةُ في بابِ الاسْتِفْهام؟

٣. ما الأَدِلَّةُ أَوِ الْمُرَجِّحاتُ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُرَجِّحَ أَصالَةَ إِحْدى الأَداتَيْنِ أَصالَةً تاريخِيَّة؟

٤. ما الَّذي أَحْوَجَ إِلى أَنْ تَسْتَحْدِثَ اللُّغَةُ أَداةً أُخْرى جَديدَةً لاسْتِعْمالٍ لَهُ أَداةٌ أَصيلَة؟ لِمَ لَمْ تَكْتَفِ اللُّغَةُ بِأَداةٍ واحِدَة؟ هَلْ كانَ ثَمَّ ضَرورَةٌ عَمَلِيَّةٌ، أَوْ حاجَةٌ اسْتِعْمالِيَّةٌ مُحَدَّدَةٌ، لِذلِكَ الاسْتِحْداث؟ كَيْفَ يُمْكِنُ تَفْسيرُ هذا التَّعَدُّد؟

يَقْصدُ الْبَحْثُ الْحالِيُّ إِلى مُحاوَلَةِ الإِجابَةِ عَنِ هذِهِ الأَسْئِلَةِ الأَرْبَعَة، فَيَسْعى- بِالأَدِلَّةِ وَالْمُرَجِّحاتِ الْمُسْتَطاعَة- إِلى تَبَيُّنِ الأَداةِ الأَصْلِيَّةِ الَّتي اسْتَحْدَثَتْها الْعَرَبِيَّةُ أَوَلاً لِتَنْهَضَ بِالاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ، مِنْ بَيْنِ الأَداتَيْنِ: (هَلْ) وَ(هَمْزَة الاسْتِفْهام)، لِيُعَرِّجَ مِنْ بَعْدُ عَلى دَواعي تَخْليقِ الأَداةِ الثّانِيَةِ (الأَحْدَث). وَلَمْ يَعْثُرِ الْباحِثُ عَلى دِراسَةٍ خُصِّصَتْ لِهذا الْغَرَضِ تَحْديداً، وَهُوَ مَعْرِفَةُ أَيِّ الأَداتَيْنِ أَقْدَم: (الهَمْزَة) أَمْ (هَل)، لكِنَّنا نَجِدُ إِشاراتٍ مُفيدَةً هُنا وَهُناكَ، لَدى النَّحْوِيّينَ الْعَرَبِ الْقُدامى وَالْمُحْدَثينَ، كانَ لَها عَظيمُ الأَثَرِ في بِناءِ هذا الْبَحْث.

وَلَعَلَّ أَهَمِّيَّةَ الْبَحْثِ الْحالِيِّ، إِضافَةً إِلى ما سَبَق، تَنْبُعُ مِنْ أَنَّهُ يُؤَسِّسُ- في الْحَقيقَةِ- لِبَحْثٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ لاحِقٍ، يَرومُ فيهِ مُحاوَلَةَ الإِجابَةِ عَنْ سُؤالٍ آخَرَ خامِس، يَهْدِفُ إِلى التَّوَصُّلِ لِمَعْرِفَةِ إِنْ كانَ ثَمَّ عَلاقَةٌ اشْتِقاقِيَّةٌ بَيْنَ (هَلْ) وَ(هَمْزَةِ الاسْتِفْهام): فَهَلْ كانَ اسْتِحْداثُ الأَداةِ الْجَديدَةِ تَفْريعاً مِنَ الأَداةِ الأَصْلِيَّة؟ وَإِذا كانَ ذلِكَ صَحيحاً، فَكَيْفَ

تَمَّ الاسْتِحْداثُ أَوِ التَّطْوير؟ كَيْفَ اشْتَقَّتِ اللُّغَةُ الأَداةَ الْجَديدَةَ مِنَ الأَداةِ الْقَديمة؟ أَمْ إِنَّهُ ما مِنْ عَلاقَةٍ اشْتِقاقِيَّةٍ قائِمَةٍ أَصْلاً بَيْنَ الأَداتَيْن؟ بِمَعْنى أَنَّهُ قَدْ يَكونُ أَنَّ اللُّغَةَ لَمْ تَسْتَحْدِثْ، أَوْ لَمْ تُطَوِّرْ، إِحْدى الأَداتَيْنِ مِنَ الأُخْرى، بَلْ كانَ اسْتِحْداثُ الأَداةِ الْجَديدَةِ مِنْ طَريقٍ آخَرَ مُخْتَلِفٍ بَعيدٍ مِنْ مَبْنى الأَداةِ الْقَديمَة.

وَالْحَقُّ أَنَّ الإِجابَةَ عَنْ هذا السُّؤال، كانَ- في الْبَدْءِ- الْهَدَفَ الْحَقيقِيَّ مِنَ الْبَحْثِ، وَذلِكَ لأَجْلِ أَنَّ صاحِبَهُ أَلْفى الْمَسْأَلَةَ لا تَزالُ مُعَلَّقَةً لَدى مَنْ يَعْرِفُ مِنَ الْباحِثينَ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَشْرِقين. وَلكِنْ كانَ لا بُدَّ، قَبْلَ أَن نَقولَ بِأَنَّ (هَلْ) اشْتُقَّتْ مِنَ (الهَمْزَة)، أَوْ أَنَّ (الهمزة) اشْتُقَّتْ مِنْ (هَلْ)، مِنْ جَمْعِ الأَدِلَّةِ وَالْمُرَجِّحاتِ الَّتي تُغَلِّبُ الظَّنَّ بِأَقْدَمِيَّةِ إِحْدى الأَداتَيْنِ عَلى الأُخْرى، وَهِيَ أَدِلَّةٌ وَمُرَجِّحاتٌ وَجَدَها الْباحِثُ مُتَكاثِرَةً لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَفَرٌّ مِنْ تَخْصيصِ دِراسَةٍ كامِلَةٍ لَها، وَهُوَ ما نَقومُ بِهِ في الْبَحْثِ الْحالِيّ.

وَمِنْ مَرامي الْبَحْثِ الْحالِيِّ الْبَعيدَة، أَنْ يُشيرَ إِلى أَنَّ خُلُوَّ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ إِلى الآنِ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الأَسْئِلَةِ، فَضْلاً عَنْ مُحاوَلَةِ الإِجابَةِ عَنْها، يُعَدُّ عَيْباً خَطيراً يُلازِمُ ذلِكَ الدَّرْس. وَمِمّا أُريدُ أَنْ أُعْلِنَهُ، كَذلِكَ، أَنَّ مُحاوَلَةَ تَبَيُّنِ الْمَوْضوعِ عَلى النَّحْوِ الَّذي قَدَّمْتُ لَه، تَنْطَوي عَلى غَيْرِ قَليلٍ مِنَ "الأَسْرارِ اللُّغَوِيَّة"، أَفَلَمْ يَأْنَ لِلدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَوْلِيَ اهْتِماماً أَكْبَرَ لِلْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ التّاريخِيِّ في مَجالِ الأَدَواتِ وَالتَّراكيب، وَهُوَ مَجالٌ لا يَنْفَصِلُ- بِأَيِّ حالٍ- عَمّا بَرَعَ فيهِ النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ التَّقْليدِيّ؟

يَعي الْباحِثُ الْحالِيُّ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ الْمَبْحوثَةَ في غايَةِ الصُّعوبَةِ وَالتَّعْقيد، وَالْبَحْثَ فيها مَحْفوفٌ بِمَخاطِرَ جَمَّة. أَمارَةُ هذا أَنَّني كُنْتُ أَرْسَلْتُ رِسالَةً بِالْبَريدِ الإِلكترونِيِّ لِسَبْعَةَ عَشَرَ باحِثاً مُتَخَصِّصاً في الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغاتِ (الجزرِيَّة) في كُلٍّ مِنَ الْوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ الأَميركِيَّةِ والمملكة المتَّحِدَة، سَأَلْتُهُمْ فيها عَنْ أَيِّ كِتابٍ، أَوْ مَقالَةٍ، أَوْ أُطْروحَةٍ تَناوَلَتِ الْمَسْأَلَةَ مَوْضِعَ الْبَحْث، وَهِيَ: أَيّ الأَداتَيْنِ أَقْدَم في الْعَرَبِيَّة: (هَمْزَة الاسْتِفْهامِ) أَمْ (هَل)؟ وَكانَتِ الإِجاباتُ الَّتي وَصَلَتْني- وَهِيَ تِسْعٌ- تُثْني عَلى الْمَوْضوع، وَلكِنَّها تُؤَكِّدُ- في الْوَقْتِ نَفْسِهِ- وُعورَةَ الْمَسْلَكِ، بَلْ عَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ "اسْتِحالَةِ التَّوَصُّلِ إِلى أَيِّ إِجابَة"! مِنْ ذلِكَ ما كَتَبَهُ لي- مَثَلاً- (Professor Bruce Ingham)، مِنْ (SOAS University of London)، قائِلاً في رِسالَتِه:

"I don't think anyone has written about it and it may be a question which is impossible to answer".

أَهْدافُ الْبَحْث:

يَسْعى الْبَحْثُ إِلى تَحْقيقِ جُمْلَةٍ مِنَ الأَهْدافِ الرَّئيسَةِ، وَهي:

١. رَصْد الْخَصائِصِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَة: الصَّوْتِيَّة، وَالصّيغِيَّة، وَالتَّرْكيبِيَّة، وَالدِّلالِيَّة، وَالنَّصِّيَّة، الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تَنْمازَ بِهِ إِحْدى أَداتَيِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيِّ مِنَ الأُخْرى.

٢. مُحاوَلَة تَرْجيحِ أَيّ الأَداتَيْنِ أَقْدَم في التَّعْبيرِ عَنِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ: (الْهَمْزَة) أَمْ (هَلْ)، اسْتِناداً إِلى الْمَرْصودِ مِنَ الْخَصائِصِ اللُّغَوِيَّةِ عَلى الْمُسْتَوَياتِ الْمُخْتَلِفَة.

٣. امْتِحان صوابِ الرَّأْيِ الشّائِعِ لَدى النَّحْوِيّينَ الْعَرَبِ، الْقائِلِ بِأَنَّ (الهَمْزَةَ) لَها الأَصالَةُ في بابِ الاسْتِفْهام.

٤. تَبَيُّن الأَسْبابِ الَّتي أَحْوَجَتْ إِلى أَنْ تَسْتَحْدِثَ اللُّغَةُ أَداةً أُخْرى جَديدَةً للاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ.

مَنْهَج الْبَحْث:

يَعْمَدُ البحثُ إِلى تَلَمُّسِ الْمَظاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُمْكِنَةِ الَّتي تُرَجِّحُ الأَصالَةَ اللُّغَوِيَّةَ التّاريخِيَّةَ الَّتي لإِحْدى الأَداتَيْنِ: (الْهَمْزَة) وَ(هَل)، وَتَرْتَدُّ هذِهِ الْمَظاهِرُ إِلى مُخْتَلِفِ الْمُسْتَوَياتِ اللُّغَوِيَّة: الصَّوْتِيَّة، وَالْبِنائِيَّةِ الصّيغِيَّة، وَالْجُمْلِيَّة (التَّرْكيبِيَّةِ وَالدِّلالِيَّة)، وَالنَّصِّيَّة. وَلِذلِك، مِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ يَتَوَسَّلَ الْبَحْثُ بِالْمَنْهَجِ الْوَصْفِيِّ أَحْياناً كَثيرَة، لأَجْلِ أَنْ يَتَتَبَّعَ الْخَصائِصَ الصَّوْتِيَّةَ، وَيَرْصُدَ الْمَواقِعَ الصّيغِيَّةَ وَالْجُمْلِيَّةَ وَالنَّصِّيَّة، الَّتي تَسْتَأْثِرُ بِها الْهَمْزَةُ دونَ (هَلْ)، لِيَعْقِدَ في كُلِّ مَرَّةٍ مُوازَنَةً بَيْنَ (الْهَمْزَةِ) وَ(هَلْ) في الْخَصيصَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَرْصودَة.

وَبَدَهِيٌّ، كَذلِكَ، أَن لا يَتَوَقَّفَ الْبَحْثُ عِنْدَ حَدِّ الْمَنْهَجِ الْوَصْفِيّ، بَلْ يَلْجَأُ في أَحْيانٍ أُخْرى إِلى دِراسَةِ الْمَسْأَلَةِ الْمَبْحوثَةِ طَبْقاً لِلْمَنْهَجِ التّاريخِيِّ، وَذلِكَ لِيَتَسَنّى لَهُ الْقَوْلُ بِاتِّجاهِ التَّطَوُّرِ: أَكانَ مِنَ (الْهَمْزَةِ) إِلى (هَلْ)، أَم كانَ مِنْ (هَلْ) إِلى (الْهَمْزَة)؟ وَلَعَلَّ مُحاوَلَةَ الْبَحْثِ حَصْرَ الدَّواعي الَّتي أَلْجَأَتِ اللُّغَةَ إِلى اسْتِحْداثِ (هَل) بَعْدَ (الْهَمْزَة)، تُثْبِتُ الْحاجَةَ إِلى هذِهِ الْمُراوَحَةِ الْمَنْهَجِيَّةِ الَّتي لا تَحيدُ عَنِ الْوَصْفِيَّةِ وَالتّاريخِيَّة، إِلّا بِما يَتَطَلَّبُهُ التَّحْليل. فَيَتَوَضَّحُ مِنْ هذا أَنَّ الْبَحْثَ سَيَتَّبِعُ

المنهجينِ الوصفيَّ والتّاريخيَّ حسبَ ما يَقْتَضيهِ الْمَقامُ وسياقُ الحال في تَناوُلِ الْمَسائِلِ الْمَدْروسَة.

الدِّراساتُ السّابِقَة:

يُفْهَمُ مِنْ كَلامِ لِسيبَوَيْه، أَنَّهُ لَيْسَ للاسْتِفْهامِ غَيْرُ الهَمْزَة، وَأَنَّ الأَصْلَ في أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ الأُخْرى كَـ(مَنْ، وَمَتى، وَهَلْ، وَنَحْوِهِنّ)، أَنْ تَأْتِيَ وَالهَمْزَةُ مَنْوِيَّةٌ قَبْلَها، ولكِنَّهُمْ إِنَّما تَركوها أَوْ حَذَفوها "حَيْثُ أَمِنوا الالْتِباس"[1]. وَقَدْ جوَّزَ المُبَرّد (٢٨٥هـ) دُخولَ هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ عَلى (هَلْ) وَعَلى سائِرِ أَسْماءِ الاسْتِفْهام[2]. وَمَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرِ هذا الرَّأْيِ، وَإِنْ بَدا لِبَعْضِ الباحِثينَ وَجيهاً[3]، فَإِنَّ الأَكْثَرَ وَجاهَةً أَنْ يُقالَ: إِنَّ الهَمْزَةَ وَ(هَلْ) هُما الأَداتانِ المُخْتَصَّتانِ—وَلا رَيْب- بِالاسْتِفْهام، أَمّا أَدَواتُ الاسْتِفْهامِ المُتَبَقِّيَةُ، نَحْوَ (مَنْ) وَ(ما) وَ(أَيْنَ) وَ(مَتى)، فَلَها وَظيفَةٌ أَصْلِيَّة، وَوَظيفَةُ الاسْتِفْهامِ طارِئَةٌ عَلَيْها[4].

---

(١) سيبويه، الكِتاب: ٩٩/١.

(٢) انظر: المبرّد، أبو العبّاس محمَّد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، ط٢، ٢٩٠/٣- ٢٩١، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، لجنة إحياء التُّراث الإسلاميّ، جمهوريَّة مصر العربيَّة، القاهِرَة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. و: ابن يعيش، موفّق الدّين أبو البقاء، شرح المُفصَّلِ لِلزَّمخشريّ، قَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ هَوامِشَهُ وَفَهارِسَهُ: إميل بديع يعقوب، ط١، ١٥٣/٨، دار الكتب العلميَّة- بَيْروت، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م.

(٣) محمود رمضان الدّيكِيّ، الهمزة و(هل): دراسة في الفروق التّركيبيَّة والدّلاليَّة، المَجَلَّةُ الأُرْدُنِيَّةُ في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدابِها، المُجَلَّد (٢)، الْعَدَد (١)، ذو الحجَّة ١٤٢٦هـ/كانون الثّاني ٢٠٠٦م: ص٥٠.

(٤) انْظُرْ: إِسْماعيل أَحْمَد عَمايْرة، بحوث في الاستشراق وَاللغَة، ط١، ص٥٦، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالَة- بَيْرت، دار البَشير- عَمّان/الأُرْدُنّ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

وَقَد تابَعَ النَّحْوِيّونَ ما قَرَّرَهُ (سيبَوَيْه) بِشَأْنِ أَصالَةِ (الهَمْزَةِ) في بابِ الاسْتِفْهام، فَقالَ (ابْنُ هِشام): "وَالأَلِفُ أَصْلُ أَدَواتِ الاسْتِفْهام، وَلِهذا خُصَّتْ بِأَحْكام"[1]. وَقالَ (المَوْزِعِيّ) (٨٢٥هـ)، فَقَدْ قالَ بِأَنَّ الهَمْزَةَ تَأْتي لِمَعْنَيَيْنِ: نِداء القَريب، وَ"الاسْتِفْهام الْحَقيقِيّ وَهِيَ أَصْلُ أَدَواتِ الاسْتِفْهام، وَلِذلِكَ يُسْتَفْهَمُ بِها عَنِ التَّصَوُّر... وَيُسْتَفْهَمُ بِها عَنِ التَّصْديق... وَلَيْسَ ذلِكَ لِغَيْرِها مِنَ الأَدَوات"[2].

أَمّا (إِسْماعيل عمايرة) فَقَدْ رَجَّحَ أَنْ تَكونَ (هَلْ) قَدْ ظَهَرَتْ أَوَّلاً، فَهِيَ- عِنْدَهُ- أَقْدَمُ مِنْ (هَمْزَةِ الاسْتِفْهام)، وَالَّذي حَدَثَ- في رَأْيِ إِسْماعيل عمايرة- هُوَ أَنْ أُبْدِلَتِ الْهاءُ في (هَلْ) هَمْزَةً فَتَحَوَّلَتْ (هَلْ) إِلى (أَل). قالَ: "الهمزة وهل: **هاتانِ الأَداتانِ تَنْحَدِرانِ تاريخِيّاً مِنْ أَصْلٍ واحِد، وَهُوَ "هَلْ"**، ثُمَّ تَبادَلَتِ الْهاءُ وَالْهَمْزَة، وَمِنْ آثارِ ذلِكَ في الْعَرَبِيَّةِ قَوْلُ الشّاعِر:

وَأَتَتْ صَواحِبها فَقُلْنَ: هَذا الَّذي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرَنا وَجَفانا[3]

---

(١) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٧٤/١.

(٢) الْمَوْزِعِيّ، محمَّد بن عليّ بن إبراهيم، مَصابيحُ المَغاني في حُروفِ الْمَعاني، دراسة وتحقيق: عائض بن نافع بن ضيف الله العمريّ، ط١، ص٧١، دار المَنار، القاهِرَة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٣) جَميلُ بُثَيْنَة، جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، ديوانُ جَميل بُثَيْنَة، جَمْع وَتَحْقيق: حسين نَصّار، ط٢، ص٢١٨، الْقاهِرَة، ١٩٦٧م. وَفي (مُغْني اللَّبيب): "وَأَتى صَواحِبها" بَدَلاً مِنْ: "وَأَتَتْ صَواحِبها" (اُنْظُر: اِبْن هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣١٤/٤). وَفي الأَصْل- عند إسماعيل عمايرة- : (هذا الَّذي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرَنا وَجَفانا).

أَيْ: أَذا الَّذي..."[1].

وَيَبْدو أَنَّ (إِسْماعيل عَمايرة) قَدِ اتَّخَذَ مِنْ "حَذْفِ" اللّامِ مِنْ دالَّةِ التَّعْريفِ (ال) عِنْدَ دُخولِها عَلى "الأَصْواتَ الشَّمْسِيَّة"، دَليلاً عَلى سُقوطِ اللّام مِنْ (أَل) الْمُتَحَوِّلَةِ مِنْ (هَلْ)، لِتَؤولَ (أل) الأَخيرَةُ إِلى هَمْزَةِ الاسْتِفْهام: (أَ). بِعِبارَةٍ أُخْرى: تَحَوَّلَتْ (هَل) إِلى (أل) بِإِبْدالِ الْهاءِ هَمْزَةً، ثُمَّ سَقَطَتْ اللّامُ مِنْ (أَل)- الاسْتِفْهامِيَّة جَدَلاً- ، قِياساً عَلى سُقوطِ اللّامِ مِنْ دالَّةِ التَّعْريفِ (ال) عِنْدَ دُخولِها عَلى "الأَصْواتِ الشَّمْسِيَّة". قالَ (إِسْماعيل عمايرة): "وَقَدْ حُذِفَتِ اللّامُ في الْعَرَبِيَّة مَعَ الأَحْرُفِ الشَّمْسِيَّةِ نُطْقاً، وَبَقِيَتْ كِتابَةً تَدُلُّ عَلى الأَصْل، وَلَمْ تُحْذَفْ مَعَ الأَحْرُفِ الْقَمَرِيَّة، وَقَد تَرَتَّبَ عَلى ذلِكَ تَشْديدُ الْحَرْفِ الشَّمْسِيّ. أَمّا في الْعِبْرِيَّةِ فَقَدْ آلَتِ اللّامُ إِلى الْحَذْفِ في الْحُروفِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْقَمَرِيَّةِ، وَكَذلِكَ في الْعَرَبِيَّةِ الْبائِدَة (الثَّمودِيَّة)"[2].

صَحيحٌ أَنَّ الْقَوْلَ بِالتَّحَوُّل: (هَلْ- > أَلْ- > أَ)، قَدْ يُؤَيِّدُهُ ما رَواهُ (ابْنُ جِنِّيّ) (٣٩٢هـ) عَنْ قُطْرُب (٢٠٦هـ)، مِنْ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقولونَ: (**أَلْ** فَعَلْتَ؟) بَدَلاً مِنْ: (**هَلْ** فَعَلْتَ؟)[3]، بَيْدَ أَنَّ مَجيءَ (أَل) اسْتِفْهامِيَّةً أَثارَ اسْتِغْرابَ (ابْنِ هِشامٍ) **عادّاً تَحَوُّلَ (الْهاءِ) إِلى (هَمْزَة) أَمْراً**

---

(١) إِسْماعيل أَحْمَد عَمايْرة، بحوث في الاستشراق وَاللغَة: ص٥٦.

(٢) السّابِق نَفْسه.

(٣) انظر: ابْن جِنّيّ، أَبو الفَتْح عُثْمان، سِرُّ صِناعَةِ الإِعْراب، تَحْقيق: حَسَن هنداوي، بابُ الْهَمْزَة: ط٢، ص١٠٦، دار القَلَم لِلطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، دِمَشْق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

غَريباً مُسْتَثْقَلاً، بَلْ هُوَ- عِنْدَهُ- مِنْ إِبْدالِ الْخَفيفِ ثَقيلاً كَما في كَلِمَةِ (الآل) عِنْدَ سيبَوَيْه، غَيْرَ أَنَّهُ في حالِ كَلِمَةِ (الآل) سَهُلَ إِبْدالُ الْخَفيفِ ثَقيلاً "لأَنَّهُ جُعِلَ وَسيلَةً إِلى الأَلِفِ الَّتي هِيَ أَخَفُّ الْحُروف"[1].

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَكونُ مِنْ غَيْرِ الْمَفْهومِ لِمَ نُضطَّرُّ إِلى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْهاءَ اسْتِفْهامِيَّةٌ في (**هَذا**) مِنَ الْبَيْت:

وَأَتَتْ صَواحِبها فَقُلْنَ: هَذا الَّذي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرَنا وَجَفانا

وَهُوَ قَوْلٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ النَّحْوِيّينَ مِنْ قَبْل. قالَ (ابْنُ هِشامٍ) في تَعْدادِ أَنْواعِ الْهاءِ الْمُفْرَدَة: "وَالرّابِع: الْمُبْدَلَة مِنْ هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ، كَقَوْلِهِ..."[2]، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدَّها، تالِياً، مِنْ أَنْواعِ الْهاءِ الْمُفْرَدَةِ، ذاكِراً رَأْيَ بَعْضِهِم مِنْ أَنَّ الأَصْلَ في (هَذا) هُوَ (هاذا) لكِنَّ الشّاعِرَ حَذَفَ الأَلِف: "وَالتَّحْقيقُ أَلّا تُعَدَّ هذِهِ، لأَنَّها لَيْسَتْ بِأَصْل، **عَلى أَنَّ بَعْضَهُمْ زَعَمَ أَنَّ الأَصْلَ (هاذا) فَحُذِفَتِ الأَلِف**"[3]. وَلَعَلَّ الأَمْرَ غَيْرُ خارِجٍ عَنْ دائِرَةِ الاضطِّرارِ الشِّعْرِيّ، فَقَدْ قَصَّرَ الشّاعِرُ الأَلِفَ الْمَنْطوقَةَ بَعْدَ الْهاءِ في اسْمِ الإِشارَةِ، غَيْرَ الْمُمَثَّلِ لَها كِتابِيّاً هكَذا: (هاذا - > هَذا)، لأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يُحافِظَ عَلى تَفْعيلَةِ الْبَحْرِ الْكامِل (مُتَفاعِلُن): (ب ب — ب -)، ذاكَ أَنَّهُ لَوْ أَبْقى على أَلِفِ (هاذا) نُطْقاً لانْكَسَرَ الْبَيْتُ وَأَصْبَحَتِ التَّفْعيلَةُ: (ب - - ب -).

(١) اِبْنُ هِشام الأنصاريّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣٤٢/١.
(٢) اِبْنُ هِشام الأنصاريّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣١٣/٤.
(٣) اِبْنُ هِشام الأنصاريّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣١٣/٤- ٣١٤.

وَالَّذي قَدْ يَدْعو أَكْثَرَ إِلى عَدَمِ عَدِّ هاءِ (هذا) اسْتِفْهامِيَّةً، أَنَّ رَأْيَ (إِسْماعيل عمايرة) في تَطَوُّرِ (**هَلْ**) إِلى (**أَل**)، ثُمَّ تَطَوُّرِ (**أَل**) إِلى هَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ (**أَ**)، لَيْسَ فيهِ مُرورٌ بِالْهاءِ- كَما تَرى- ! وَإِذا كانَ (إِسْماعيل عمايرة) قَدْ أَيَّدَ الرَّأْيَ القائِلَ بِأَنَّ الْهاءَ في (هَذا)- مِنَ الشّاهِدِ- إِنَّما هِيَ اسْتِفْهامِيَّة، فَلا شَيْءَ يَمْنَعُ مِن احْتِمالِ أَنْ تَكونَ الْهاءُ في (هَذا)- عَلى فرضِ اسْتِفْهامِيَّتِها- مُنْقَلِبَةً عَنْ هَمْزَة، وَأَنْ يَكونَ الأَصْلُ في (**هَذا** الَّذي...؟) هُوَ (**أَذا** الَّذي...؟)، وَيَكون هذا الرَّأْيُ- عِنْدَئِذٍ- مُلْمِحاً إِلى **قِدَمِ الْهَمْزَةِ لا (هَل)**. ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ ما يَدْعو، أَصْلاً، إِلى تَقْطيع (هَذا) في الشّاهِدِ إِلى دالَّيْن: (الهاءِ الاسْتِفْهامِيَّة!) وَ(ذا) الإِشارِيَّة، لأَنَّ الأَصْلَ في الاسْتِفْهامِ (التَّصْديقِيِّ) الَّذي مِنْهُ الْبَيْتُ الْمَذْكور، أَنْ يَكونَ- في اللُّغاتِ كُلِّها- بِلا أَداةٍ اعْتِماداً عَلى قَرينَةِ التَّنْغيمِ وَحْدَها. فَيَكونُ الْقَوْلُ السّابِقُ خلْواً مِنْ أَيِّ أَداة، وَيَكونُ الاسْتِفْهامُ مَفْهوماً مِنَ النَّغْمَةِ عَلى غِرارِ ما نَجِدُ في قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَة:

ثُمَّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلْتُ: بَهْراً عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصى وَالتُّرابِ[1]

وَقَدْ لَفَتَ مَجيءُ الْهَمْزَةِ في الْعَرَبِيَّةِ لِلتَّعْبيرِ عَنْ وَظائِفَ عَديدَةٍ نَظَرَ (محمود الدّيكي) كَثيراً، قال: "وَلَعَلَّكَ لَسْتَ واجِداً أَداةً لَها هذا التَّعَدُّدُ

(١) انظر: محمَّد محيي الدّين عبد الحميد، شَرْح ديوانِ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَةَ الْمَخْزومِيّ، ط١، ص٤٢٣، مطبعة السَّعادَة، مِصْر، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

كَالهَمْزَة، فَهِيَ للاسْتِفْهامِ وَالنِّداءِ وَالتَّعْدِيَة وَالتَّسْوِيَة[1] وَجُزْء مِنْ مَبْنى اللفْظ أَوِ البِنْيَة الصَّرْفِيَّة، وَهِيَ في الاسْتِفْهامِ تُسْتَعْمَلُ للإِنْكارِ وَالتَّقْريرِ وَالاسْتِهْجان وَلِكُلِّ الدّلالاتِ التي يَخْرُجُ لِتَأْدِيَتِها هذا الأُسْلوب"[2]. وَلَمْ يَسْتَنْتِج (الدّيكيّ) مِنْ كُلِّ هذا التَّعَدُّدِ الْوَظيفِيِّ الْمَوْكولِ لِلْهَمْزَةِ في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَيَّ شَيْء.

وَأَشارَ، في مَوْطِنٍ آخَرَ، إِلى رَأْيِ (سيبَوَيْهِ) الْقائِلِ بِأَنَّهُ لَيْسَ للاسْتِفْهامِ غَيْرُ الْهَمْزَة، وَحَيْثُما وَرَدَتْ أَيُّ أَداةٍ أُخْرى للاسْتِفْهامِ فَالْهَمْزَةُ مَنْوِيَّةٌ مَعَها. وَحاوَلَ الإِفادَةَ مِنْ رَأْيِ (سيبَوَيْهِ) بِنَجاحٍ لَوْلا أَنَّهُ كانَ مُتَرَدِّداً- بِوُضوحٍ- في قبولِه. قالَ: "يَبْدو هذا الرَّأْيُ الَّذي يَراهُ سيبَوَيْهِ وَجيهاً **عَلى غَرابَتِه**، ذلِكَ **إِنْ سَلَّمْنا** بِأَنَّ الأَداةَ الْوَحيدَةَ الَّتي كانَتْ للاسْتِفْهامِ في مَرْحَلَةٍ مِنْ مَراحِلِ تَطَوُّرِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَديمَةِ هِيَ الْهَمْزَة، أَمّا الأَدَواتُ الأُخْرى، (هَلْ) وَأَسْماءُ الاسْتِفْهام، فَتَطَوُّرٌ لاحِق حينَ أَصْبَحَتْ كُلُّ حالَةٍ مِنْ حالاتِ الاسْتِفْهام تَقْتَضي مُؤَشِّراً اسْتِفْهامِيّاً خاصّاً يُذْكَرُ مَعَ الْهَمْزَة، ثُمَّ في مَرْحَلَةٍ لاحِقَةٍ اسْتُغْنِيَ عَنِ الْهَمْزَةِ في هذِهِ الْمَواطِن"[3].

---

(١) مَنَ الواضِح أَنَّ (محمود رمضان الدّيكِيّ) هُنا يُخْرِجُ (التَّسْوِيَة) التي تُؤَدّيها الهَمْزَةُ في بَعْضِ مَواطِنِ وُرودِها مِنْ دائِرَةِ الاسْتِفْهام كُلِّيَّةً، فَالتَّسْوِيَةُ-كَما يُفْهِمُ كَلامُهُ- لَيْسَتْ مِنَ الاسْتِفْهامِ في شَيْء، سَواء أَكانَ اسْتِفْهاماً حَقيقِيّاً أَمْ بَلاغِيّاً (غَيْرَ حَقِيقِيّ). وَلا أَدْري مُعْتَمَدَهُ في الأَمْر، لأَنَّ (التَّسْوِيَة) كانَتْ أَوَّلَ ما ذَكَرَهُ ابْنُ هِشام-مَثَلاً- مِنَ الْمَعاني حينَ شَرَعَ يُعَدِّدُ الْمَعانِيَ الثَّمانِيَةَ الَّتي تَضطلِعُ بِها الهَمْزَةُ فَتُؤَدّيها حينَ خُروجِها عَنِ الاسْتِفْهامِ الحَقيقِيِّ: (انْظُر: ابن هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ١/ ٩٠).

(٢) محمود رمضان الدّيكِيّ، الهمزة و(هل): دراسة في الفروق التّركيبيَّة والدّلالِيَّة، ص٤٣.

(٣) السّابق: ص٥٠.

ثُمَّ أَرْدَفَ يَقولُ، مُعَبِّراً عَنْ حَيْرَتِهِ: "وَبَقِيَتِ الهَمْزَةُ مُحافِظَةً عَلى سَعَةِ اسْتِعْمالِها في مَواطِنَ تَرْكيبِيَّةٍ مُتَعَدِّدَة، **غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ ما يُرْكَنُ لَهُ في أَنَّ الهَمْزَةَ هِيَ أَوَّلُ ما وُضِعَ في بابِ الاسْتِفْهام، لاسِيَّما أَنَّها تُسْتَعْمَلُ في أَنْساقٍ تَرْكيبِيَّةٍ كَثيرَةٍ غَيْرِ الاسْتِفْهام، فَأَيّ هذِهِ الأَنْساقِ أَحَقُّ بِالهَمْزَة؟** وَالإِجابَةُ عَلى هذا السُّؤالِ جِدُّ صَعْبَة، وَتَقْضي بَحْثاً في اللُّغاتِ السّامِيَّة في دِراسَةٍ مُقارِنَة تُبينُ عَنْ خَفايا اسْتِعْمالاتِ الهَمْزَةِ وَباقي مُؤَشّراتِ الاسْتِفْهامِ في هذِهِ اللغات"[1].

وَما مِنْ شَكٍّ أَنَّ هُناكَ دِراساتٍ حَديثَةً أُخْرى كَثيرَةً، وَهِيَ جادَّةٌ نافِعَة، أُقيمَتْ عَلى أُسْلوبِ الاسْتِفْهامِ في الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جَوانِبَ مُخْتَلِفَة، غَيْرَ أَنَّها كُلَّها تَشْتَرِكُ في أَنَّها لَمْ تَدْرُسْ أَداتَيِ الاسْتِفْهامِ التَّصَوُّرِيّ (الهَمْزَة، وَ"هَلْ") مِنَ الْوِجْهَةِ اللُّغَوِيَّةِ التّاريخِيَّةِ عَلى النَّحْوِ الَّذي يَشْهَدُهُ الْبَحْثُ الحالِيّ، اللهُمَّ إِلّا ما كانَ مِنْ تَكْرارِ هذِهِ الدِّراساتِ قَوْلَ النَّحْوِيّينَ بِأَنَّ "الْهَمْزَةَ هِيَ أَصْلُ أَدَواتِ الاسْتِفْهام، وَلأَصالَتِها اسْتَأْثَرَتْ بِأُمور". وَلَعَلَّ مِنْ أَوْعَبِ هذِهِ الدِّراساتِ دِراسَةَ (هناء إِسْماعيل هويدي العاني) الَّتي تَمَحْوَرَتْ حَوْلَ (التَّصَوُّر وَالتَّصْديق في العربيَّة). وَضَعَتِ الباحِثَةُ بَحْثَها في تمهيدٍ وَثَلاثَةِ فُصولٍ وَخاتِمَة: أَمّا التَّمْهيدُ، فَجاءَ بِعُنوان: (في الْخَبَرِ والإِنْشاءِ وفي الاسْتِفْهامِ وتأصيلِ أدواتِهِ)، وَتَحَدَّثَتْ فيهِ عَلى موضوعَيْنِ، الأَوَّل: (الكَلامُ بينَ الخَبَرِ والإِنْشاء)، وَالثّاني: (الاسْتِفْهامُ وَتَأْصيلُ أَدَواتِه). وَأَمّا الفصلُ الأَوَّلُ الَّذي عُنوانُه (التَّصَوُّر)، فَجاء في

(١) السّابق نَفْسه.

أربعة مباحث: تَناوَلَتْ في الأوَّل مِنْها تَطَوُّرَ مَفْهومِ التَّصَوُّرِ مِنَ المَعْنى اللُّغَوِيِّ إلى المَعْنى الاصْطِلاحِيّ عِنْدَ المَناطِقَةِ وَالنَّحْوِيّينَ وَالبَلاغِيّين، وأَمْحَضَتِ الْمَبْحَثَ الثّانِيَ لِحُكْمِ الهَمْزَةِ الَّتي يُطْلَبُ بِها التَّصَوُّرُ عِنْدَ النَّحْوِيّينَ وَالبَلاغِيّين، وَأَفْرَدَتِ الْباحِثَةُ الْمَبْحَثَ الثّالِثَ لِأَلْفاظَ الاسْتِفْهامِ الاسْمِيَّةِ الَّتي يُطْلَبُ بِها التَّصَوُّر، وَخَصَّصَتِ المَبْحَثَ الرّابِعَ لِلْحِكايَةِ في الاسْتِفْهامِ التَّصَوُّرِيّ. وَأَمّا الفَصْلُ الثّاني، الَّذي جاءَ بِعُنْوان: (التَّصديق)، فَقَدْ قَسَّمَتْهُ إلى أَرْبَعَةِ مَباحِثَ أَيْضاً هِيَ: (التَّصْديقُ لُغَةً وَاصْطِلاحاً: قواعِدُهُ وَأُصولُهُ عِنْدَ المَناطِقَةِ وَالنَّحْوِيّينَ وَالبَلاغِيّين)، وَ(حُروفُ الإيجابِ وَالتَّصْديق)، وَ(مَعاني (أَمْ) وَمَواضِعُها)، وَأَمّا الْمَبْحَثُ الرّابِعُ الأَخيرُ مِنَ الْفَصْلِ الثّاني، فَقَدْ أَوْرَدَتْ فيهِ: (موازنة بين الهمزة و"هل").

وَأَمّا الفَصْلُ الثّالِث، الأَخير، فَكانَ عَنِ (المَعاني المَجازِيَّةِ لِتَراكيبِ التَّصَوُّرِ وَتَراكيبِ التَّصْديق)، وَقَدْ قَسَّمَتْهُ إلى قِسْمَيْنِ رَئيسَيْنِ، هُما: الاسْتِفْهامُ بِمَعْنى الخَبَر، وَالاسْتِفْهامُ بِمَعْنى الإنْشاء. أمّا الخاتِمَة، فقد اشْتَمَلَتْ عَلى أهَمّ الاسْتِنْتاجاتِ الَّتي تَوَصَّلَتْ إِلَيْها الباحِثَة. وَكانَتْ لِلْباحِثَةِ جُمْلَةُ اسْتِنْتاجاتٍ مُهِمَّة، لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِها أَنَّ مُصْطَلَحَي (التَّصَوُّرِ وَالتَّصْديق) قَدِ اسْتَقَرّا في الْقَرْنِ السّادِسِ الْهِجْرِيِّ على يَدِ (السَّكّاكِيّ)، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مَسْبوقاً بِالتَّصْديق. وَمِنْ أَلْطَفِ ما تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ أَنَّ (هَلْ) قَد تَدْخُلُ عَلى الجُمْلَةِ الْمَنْفِيَّةِ خِلافاً لِما أَثْبَتَهُ النَّحْوِيّونَ الأَوائِلُ وَمَنْ تابَعَهُم مِنَ الْمُتَأَخِّرينَ وَالْمُحْدَثينَ، اعْتِماداً على قَوْلِ (عَمْرو بْنِ قَميئَة):

هَـل لا يَهـيـجُ شَـوْقَكَ الطَّلَـلُ أَمْ لا يُـفَـرِّطُ شَـيْخَـكَ الْغَـزَلُ

أَمْ ذا القطـيـنُ أَصـابَ مَقْتَلَـهُ مِنْـهُ، وَخـانوهُ إِذا احْتـملوا[1]

وإِذا كانَـتِ الْباحِثَـةُ قَـدْ أَكَّـدَتْ- بِـسَبَبٍ مِـنْ ذلِـك- أَنَّ (هَـلْ) لا تَخْتَصُّ بِالدُّخولِ عَلى الْجُمَلِ الْمُثْبَتَة، فَإِنَّها تَرى أَنَّ هـذا مِمّـا يُحْفَـظُ وَلا يُقاسُ عَلَيْه[2].

* * *

(١) عَمْرو بن قميئة، ديوان عَمْرو بنِ قميئة، تحقيق: خَليل إبراهيم العطيَّة، ط٢، ص٥٠، دار صادِر، بيروت، ١٩٩٤م.

(٢) هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، ص٢٦٤.

الْمَبْحَثُ الأَوَّل: أَقْدَمِيَّةُ أَيِّ الأَداتَيْنِ وَمُرَجِّحاتُها

أَمّا الْباحِثُ الْحالِيُّ فَيُرَجِّحُ صَوابَ ما ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّحْوِيّونَ مِنْ أَنَّ (هَمْزَةَ الاسْتِفْهامِ) هِيَ أُمُّ أَدَواتِ الاسْتِفْهام، أَوْ أَصْلُ أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ، ذلِكَ أَنَّهُ يُرَجِّحُ أَنْ تَكونَ هَمْزَةُ الاسْتِفْهامِ (أَ...؟) أسبقَ في الظُّهورِ مِنْ أُخْتِها (هَلْ...؟)، لأَسْبابٍ أَوْ مُرَجِّحاتٍ تُذْكَرُ تالِياً. وَيَرى الْباحِثُ أَنَّ الْقَطْعَ في الْمَسْأَلَةِ أَمْرٌ صَعْب، وَما الأَدِلَّةُ الْمَرْصودَةُ، أَوِ الْمُتَوَصَّلُ إِلَيْها، سِوى مُرَجِّحاتٍ يُسْتَرْشَدُ بِها في الْمَسْأَلَةِ الْمَدْروسَة حَسْب، وَلا يَرْقى بَعْضُها لأَنْ يَكونَ دَليلاً قاطِعا. وَإِنَّ مِمّا يُصَعِّبُ الْبَحْثَ عَلَيْنا، كَثيراً، في مَسْأَلَةِ أَيّ الأَداتَيْنِ أَقْدَم، أَنَّ بَعْضَ الْمُتَخَصِّصينَ في اللُّغاتِ الْجزريَّة يُؤَكِّدونَ أَنَّ مُعْظَمَ اللُّغاتِ الْجَزريَّة احْتَفَظَتْ بِمَجْموعَةِ الأَصْواتِ الْحَنْجريَّةِ الَّتي تَضُمُّ (**الْهَمْزَةَ وَالْهاء**)، وَيُرَجِّحونَ أَنَّ هذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ وَرِثَتْهُما اللُّغاتُ الْجَزريَّةُ عَنِ اللُّغَةِ الجزريَّةِ الأولى، فَقَدْ "أَثْبَتَتْ مُقارَنَةُ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغاتِ السّامِيَّةِ الأُخْرى أَنَّ هذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ قَديمانِ قِدَمَ اللُّغَةِ السّامِيَّةِ الأُمِّ"[1].

وَإِذا كانَ مَسْعى الْبَحْثِ الْحالِيِّ مَرْكوزاً في مُحاوَلَةِ إِثْباتِ أَنَّ (**هَمْزَةَ الاسْتِفْهام**) قَد تَخَلَّقَتْ قَبْلَ (**هَلْ**)، فَإِنَّهُ لَنْ يَذْهَبَ إِلى أَبْعَدَ مِنْ ذلِكَ مُحاوِلاً إِثْباتَ أَنَّ (**هَلْ**) مُخَلَّقَةٌ مِنْ بِنْيَةِ (**هَمْزَةِ الاسْتِفْهام**) نَفْسِها. فَإِذا صَحَّ ما يُقالُ هُنا، مِنْ أَنَّ (**هَلْ**) مُتَأَخِّرَةٌ في الظُّهور عَنْ (**هَمْزَةِ**

(١) وَحيد صَفِيَّة، أَشْكالُ التَّبَدُّلاتِ الصَّوْتِيَّةِ في اللُّغاتِ السّامِيَّة، مجلَّة جامِعَةِ تشرين- الآداب وَالعُلوم الإِنْسانِيَّة، المجلَّد (٣١)، العدد (١)، ٢٠٠٩، ص٥٣.

الاسْتِفْهام)، وَهُوَ ما تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ كَثيراً، فَإِنَّ هُناكَ احْتِمالَيْن: الأَوَّل أَنْ تَكونَ العَرَبِيَّةُ قَدِ اسْتَحْدَثَتْ (**هَلْ**) بَعْدَ (**هَمْزَةِ الاسْتِفْهام**) دونَ أَنْ تَكونَ بَيْنَهُما أَيُّ عَلاقَةٍ اشْتِقاقِيَّة، وَالاحْتِمالُ الثّاني أَنْ تَكونَ اللُّغَةُ طَوَّرَتْ (**هَلْ**) مِنْ (**هَمْزَةِ الاسْتِفْهام**)، وَلكِنْ لَيْسَ مِنْ هَمِّنا في الْبَحْثِ الْحالِيِّ أَن نَقولَ قَوْلَةً في هذا الاتِّجاه، حَسْبُنا في هذا الْمَقامِ أَن نَعْرِفَ الأَداةَ الأَقْدَم.

الْمُرَجِّحات:

أَسوقُ، آتِياً، **ثَلاثَةَ أَنْواعٍ مِنَ الْمُرَجِّحاتِ** الَّتي يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَنَدَ إِلَيْها في تَغْليبِ الظَّنِّ بِأَقْدَمِيَّةِ (هَمْزَةِ الاسْتِفْهام) عَلى (هَلْ): **النَّوْعِ الأَوَّل** مِنَ الْمُرَجِّحاتِ يَرْتَدُّ إِلى الْجانِبَيْنِ الصَّوْتِيِّ، والْبِنائِيِّ الصّيغِيّ. أَمّا **النَّوْعُ الثّاني** فَيَرْجِعُ إِلى طَبيعَةِ البِنْيَةِ التَّرْكيبِيَّةِ لِلْجُمْلَةِ الَّتي تَلي الأَداتَيْنِ، حَسبَ مُقَرَّراتِ النَّحْوِيّينَ، وَأَمّا **الثّالِثُ** فَمُسْتَفادٌ مِنْ بَعْضِ الْمَواقِفِ الاتِّصالِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الأولى لِبَني الْبَشَر، كَما تُظْهِرُها نُصوصُ الْقُرْآنِ الْعَظيم.

أَوَّلاً: الْمُرَجِّحات الصَّوْتِيَّةُ، وَالْبِنائِيَّةُ الصّيغِيَّة

الْمُرَجِّحُ الأَوَّل: الْهَمْزَة رَكيزَةٌ صَوْتِيَّة

أ. الْهَمْزَةُ رَكيزَةٌ صَوْتِيَّةٌ لِنُطْقِ الصَّوائِت

دونَ الْهَمْزَةِ لا يُمْكِنُ نُطْقُ أَيِّ صائِتٍ، أَوْ صامِتٍ في الْعَرَبِيَّة. فَإِذا أَرَدْنا نُطْقَ الْكَسْرَةِ الْقَصيرَة، أَوِ الضَّمَّةِ الْقَصيرَة، أَوِ الْفَتْحَةِ الْقَصيرَة، قُلْنا بِسُهولَةٍ- عَلى التَّوالي- : إِ – أُ – أَ، بَدَلَ قَوْلِنا "الصَّعْبِ" أَوِ "الْمُسْتَحيلِ"- عِنْدَ غَيْرِ الْمُتَخَصِّصين- : ـِ ـُ ـَ. وَكَذا عِنْدَ إِرادَةِ نُطْقِ الْحَرَكَةِ الطَّويلَة، إِذْ يَتَعَذَّرُ نُطْقُها هِيَ الأُخْرى دونَ اتِّكاءٍ عَلى

الْهَمْزَة، أَيْ لَيْسَ بِالْمُكْنَةِ نُطْقُ الْحَرَكَةِ الطَّويلَةِ أَيْضاً إِلّا بِاجْتِلابِ الْهَمْزَةِ قَبْلَها، فَلا يُقالُ: (- ـِـ ـِ)، بَلْ: (أـِـ- ـِ) بِتَلَفُّظِ الْهَمْزَة. وَيَصْعُبُ كَثيراً أَنْ يَنْطِقَ غَيْرُ الْمُتَخَصِّصينَ الضَّمَّةَ الطَّويلَةَ وَحْدَها: (- ـُـ ـُ)، وَبَدَلاً مِنْهُ يَنْطقونَ: (أ- ـُـ ـُ) بِتَحْقيقِ الْهَمْزَة. وَمِنَ الْمُتَعَذَّرِ كَذلِكَ الْقَوْلُ: (- ـَـ ـَ)، ويَقالُ مَكانَ ذلِكَ: (أ- ـَـ ـَ). بَلْ إِنّي وَجَدتُّ النّاطِقينَ بِالْعَرَبِيَّةِ- مِمَّنْ طَبَّقْتُ عَلَيْهِمْ مُحاوَلاتِ هذا التَّلَفُّظَ- لا يَعونَ الْفَرْقَ إِطْلاقاً بَيْنَ (- ـُـ ـُ) وَ(أـُـ- ـُ)- مَثَلاً- حينَ سَماعِهِمْ كُلّاً! وَكَمْ طَلَبْتُ مِنْهُمْ، عَلى اخْتِلافِ أَجْناسِهِمْ وَبِلادِهِمْ وَأَعْمارِهِمْ وَتَحْصيلِهِمُ الْعِلْمِيّ، أَنْ يَنْطقوا: (- ـِـ ـِ) (- ـُـ ـُ) (- ـَـ ـَ) دونَ الْهَمْزَةِ، فَكانَ الْفَشَلُ حَليفَهُمْ كُلِّهِمْ أَجْمَعين، ذلِكَ أَنَّهُمْ كانوا في كُلِّ مَرَّةٍ يُنْتِجونَ- عَلى التَّوالي- : (أ- ـِـ ـِ) وَ(أـُـ- ـُ) وَ(أـَـ- ـَ).

وَهُوَ أَمْرٌ لَيْسَ بِالْجَديد- في ما ظَهَرَ لي- ، فَقَدْ سَجَّلَتْهُ التَّجارِبُ الصَّوْتِيَّةُ الَّتي أَجْراها (سَلْمان العاني) عَلى نُطْقِ الْحَرَكاتِ لَدى بَعْضِ النّاطِقينَ بِالْعَرَبِيَّة، فَقَدْ كانَتِ الْحَرَكاتُ تُنْطَقُ، في كُلِّ مَرَّةٍ، مَسْبوقَةً بِهَمْزَة، قال: "وَعِنْدَ تَسْجيلِ الْحَرَكاتِ جَميعِها تَقْريباً وُجِدَ أَنَّها تَبْدَأُ بِصَوْتِ الْهَمْزَة، وَيَبْدو أَنَّ وُجودَ هذِهِ الْهَمْزَةِ مَقْبولٌ لأَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ في الْعَرَبِيَّةِ لا تَبْدَأُ إِلّا بِصَوْتٍ ساكِن consonant، كَما أَنَّ الْكَلِمَةَ الَّتي يُظَنُّ أَنَّها مَبْدوءَةٌ بِحَرَكَةٍ، فَإِنَّها عادَةً تَبْدَأُ بِصَوْتِ الْهَمْزَةِ قَبْلَ الْحَرَكَة"[1]. وَفي

(١) سلمان حَسَن العاني، التَّشْكيلُ الصَّوْتِيُّ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّة: فونولوجيا العربيَّة، ترجمة: ياسر الملّاح، مُراجَعَة: محمَّد محمود غالي، ط١، ص٣٨، النّادي الأَدَبِيّ الثَّقافِيّ- جدَّة، المملكة العربيَّة السّعودِيَّة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

هذا تَفْسيرٌ لِما لَحَظَهُ (داود عَبْده) مِنْ قِيامِ "الْعَرَبِيّ" بِنُطْقِ هَمْزَةٍ في بِدايَةِ الْكَلِماتِ الإِنْجليزِيَّةِ الَّتي تَبْدَأُ بِحَرَكَةٍ في مِثْل (on)، وَ(at)، وَ(in)، وَذلِكَ "حينَ يَلْفظُ هذِهِ الْكَلِماتِ عَلى سَجِيَّتِه"[1].

ب. الْهَمْزَةُ رَكيزَةٌ صَوْتِيَّةٌ لِنُطْقِ الصَّوامِت

وَإِنَّ اسْتِحالَةَ، أَوْ صُعوبَةَ نُطْقِ الصَّوْتِ بِمَعْزِلٍ مِنَ الْهَمْزَةِ قَبْلَه، لا يَنْحَصِرُ في إِنْتاجِ الْحَرَكاتِ الْقَصيرَةِ وَالطَّويلَة، بَلْ يَتَعَدّاهُ إِلى إِنْتاجِ الصَّوامِت. فَإِذا أُريدَ نُطْقُ الْباءِ- مَثَلاً- وَحْدَها، أَيِ الْباءِ الصّامِتَةِ غَيْرِ الْمَتْبوعَةِ بِحَرَكَة (الْباءِ السّاكِنَة)، فَإِنَّنا بَدَلاً مِنْ أَن نَقولَ: (بْ) مُجَرَّدَةً، تَرانا نَتَوَكَّأُ عَلى صَوْتِ **الْكَسْرَةِ الْمَسْبوقَةِ بِهَمْزَة (أَوِ الْهَمْزَةِ الْمَتْلُوَّةِ بِكَسْرَة)**[2]، قَبْلَ أَن نَأْتِيَ بِصَوْتِ الْباء، أَيْ هكَذا: (**إِبْ**). وَالشَّيْءُ نَفْسُهُ يُقالُ في ما تَبَقّى مِنْ صَوامِت: (إِتْ، إِثْ، إِجْ، إِحْ، إِخْ، إِدْ، ...).

وَهذِهِ الطَّريقَةُ هِيَ عَيْنُ ما قيلَ إِنَّها "طَريقَةُ" (الْخَليلِ بْنِ أَحْمَدَ الفراهيدِيّ) (١٧٥هـ) في "تَدَوُّقِهِ الْحُروف"، فَمَشْهورٌ أَنَّهُ بُغْيَةَ تَوَصُّلِهِ إِلى نُطْقِ (الْحُروفِ "السّاكِنَةِ") مَعْزولَةً، أَيْ نُطْقِ الصَّوامِتِ غَيْرِ الْمَتْبوعَةِ بِحَرَكَةٍ: (بْ، تْ، ثْ، جْ، دْ، ...)، وَالْحَرَكاتُ الطَّويلَةُ عِنْدَهُ مِنَ

---

(١) داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل"، ط٢، ص٨٢، دار جرير لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(٢) يَرى بَعْضُ الْباحِثينَ الْمُحْدَثينَ- وَرَأْيُهُم حَقّ- أَنَّ الأَصْلَ في هَمْزَةِ الْوَصْل، أَيِ الْهَمْزَةِ الَّتي تُضافُ أَوَّلَ الْكَلِماتِ الْمَبْدوءَةِ بِصَحيحَيْنِ مُتَوالِيَيْنِ ("ساكِن" حَسَبَ اصْطِلاح القُدَماء)، هُوَ حَرَكَةٌ أَوْ عِلَّةٌ قَصيرَةٌ، "ولكِنَّ التَّرْكيبَ الصَّوْتِيَّ لِلْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ (وَما يَنْتُجُ عَنْ ذلِكَ مِنْ عاداتٍ لُغَوِيَّة) يَقودُ إِلى نُطْقِ هَمْزَةٍ قَبْلَ هذِهِ الْعِلَّة" (داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل": ص٨٢).

الْحُروفِ السّاكِنَةِ بِطَبيعَةِ الْحال: ("الياء المَدِّيَّة"، وَ"الواو المَدِّيَّة"، وَ"الأَلِف المَدِّيَّة")، عَمَدَ إِلى اجْتِلابِ هَمْزَةٍ قَبْلَ (الْحَرْفِ "السّاكِن") لِيَتَوَكَّأَ عَلَيْها في نُطْقِه، أَوْ لِيَتَوَصَّلَ بِها إِلى نُطْقِ (الْحَرْف). قالَ (سيبَوَيْه)، قاصِداً (الْخَليل): "ثُمَّ قالَ: كَيْف تَلفظونَ بِالْحَرْفِ السّاكِن، نَحْوَ ياءِ (غُلامي)، وَباء (اِضْرِبْ)، وَدالِ (قَدْ)؟... فَقال: أَقولُ: (إِبْ)، وَ(إِي)، (إِدْ)، **فَأُلْحِقُ أَلِفاً مَوْصولَة**[1]. **قال: كَذاكَ أَراهُمْ صَنَعوا بِالسّاكِنِ، أَلا تَراهُمْ**

(١) أَرى أَنَّهُ لا مَجالَ لِلشَّكِّ في أَنَّ "حَرَكَةَ" الْهَمْزَةِ الَّتي تَحَدَّثَ عَنْها (الْخَليل) في (إِبْ، إِتْ، إِثْ، إِجْ، إِدْ، ...)، إِنَّما هِيَ الْكَسْرَةُ وَلا شَيْءَ آخَر، ذلِكَ أَنَّهُ صَرَّحَ بِأَنَّها "هَمْزَة مَوْصولَة"، وَطابَقَ بِشَكْلٍ صَريحٍ بَيْنَها وَبَيْنَ الْهَمْزَةِ في (اِبْن) وَ(اِسْم)، عَلاوَةً عَلى أَنَّ مُحَقِّقَ (الْكِتاب)، عبدَ السَّلام هارون، ضَبَطَها بِالْكَسْر. وَأَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ أَنَّ (ابْنَ جِنّي) جاءَ مِنْ بَعْدُ وَأَعْلَنَ أَنَّها هَمْزَةُ الْوَصْلِ الْمَكْسورَة. قال: "وَسَبيلُكَ إِذا أَرَدتَّ اعْتِبارَ صَدى الْحَرْفِ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ ساكِناً لا مُتَحَرِّكاً، لأَنَّ الْحَرَكَةَ تُقْلِقُ الْحَرْفَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَمُسْتَقَرِّه، وَتَجْتَذِبُهُ إِلى جِهَةِ الْحَرْفِ الَّذي هِيَ بَعْضُه، ثُمَّ تُدْخِلَ عَلَيْهِ هَمْزَةَ الْوَصْلِ مَكْسورَةً مِنْ قَبْلِه، لأَنَّ السّاكِنَ لا يُمْكِنُ الابْتِداءُ بِه، فَتَقول: اِكْ، اِقْ، اِجْ، وَكَذلِكَ سائِرِ الحُروف" (ابْنُ جِنّيّ، سِرُّ صِناعَةِ الإِعْراب: ص٦- ٧). وَرغْمَ وُضوحِ هذا الأَمْر، فَإِنَّنا وَجَدْنا (عَبْد الْقادِرِ عَبْد الْجَليل) يَسوقُ كَلاماً مُفْهِماً أَنَّ الْهَمْزَةَ في طَريقَةِ الْخَليلِ مُحَرَّكَةٌ بِالْفَتْحَة، وَلَمْ أَدْرِ مُعْتَمَدَهُ في هذا! قالَ في سِياق ما رَآهُ "تَخْليطاً" لَدى عُلَماءِ العَرَبِ الْقُدَماءِ بَيْنَ (الْهَمْزَةِ) وَ(الأَلِف)، مُرْجِعاً السَّبَبَ إِلى "مُتَّجَهِ الْخَليلِ في مَساقِهِ التَّذَوُّقِيِّ لِلْحُروف": "وَطَريقَةُ الْخَليلِ في تَذَوُّقِ الْحُروفِ جَرَتْ عَلى أَنْ يَفْتَحَ فَمَهُ بِالأَلِفِ (أَيِ الْهَمْزَة)، ثُمَّ يَأْتِيَ بِالْحَرْفِ الْمُرادِ تَذَوُّقُهُ الْوَصْفِيّ ساكِناً، وَيَنْطِق هكَذا: (أَبْ، أَتْ، أَثْ، أَجْ...) (هكَذا). وَلَمّا جاءَ إِلى صَوْتِ الْهَمْزَةِ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطِقَ بِهَمْزَتَيْنِ الأولى مُتَحَرِّكَة وَالثّانِيَة ساكِنَة: أَ أْ (هكَذا) هَمْزَة الاتِّكاء وَالْهَمْزَة الْمُراد تَذَوُّقُها، وَفي اجْتِماعِهِما أَحَسَّ بِثِقَلٍ بالِغ، فَحَوَّلَهُما إِلى هَمْزَةٍ مَمْدودَةٍ هكَذا: (آ). وَهذِهِ الْهَمْزَةُ الْمَمْدودَةُ في حَقيقَتِها، تَتَأَلَّفُ مِنْ جُزْأَيْن: صَوْت صامِت+صَوْت صائِت طَويل... وَفي تَذَوُّقِ الْخَليلِ هذا أَحَسَّ بِحُرِّيَّةِ الْمَذاقِ الانْفِتاحِيِّ الَّتي هِيَ في حَقيقَةِ أَمْرِها تَعودُ إِلى الْجُزْءِ الثّاني مِنْ أَجْزاءِ الائْتِلافِ الذَّوْقِيِّ لِصَوْتِ الْهَمْزَة، وَهُوَ الصّائِتُ

قالوا: (اِبْنٌ) وَ(اِسْمٌ) حَيْثُ أَسْكَنوا الْباءَ وَالسّين، وَأَنْتَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَكَلَّمَ بِساكِنٍ في أَوَّلِ اسْمٍ كَما لا تَصِل إِلى اللَّفْظِ بِهذِهِ السَّواكِن،

الطَّويلُ الَّذي يُمَثِّلُ الْحَرَكَةَ الْمُصاحِبَةَ لِلصَّوْتِ أَثْناءَ عَمَلِيَّةِ التَّذَوُّق، وَلَيْسَ لِلْجُزْءِ الأَوَّلِ الَّذي يُمَثِّلُهُ الصّامِت، وَهُوَ الْهَمْزَة"(١) (عبد القادِر عبد الجَليل، الأَصْواتُ اللُّغَوِيَّة، ط١، ص١٨٧- ١٨٨، دار صَفاء لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، عَمّان – الأُرْدُنّ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. وانظر: توفيق لافي النّواصرة، الهمزة في ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَديث، ط١، ص١٠- ١١، دار جَليس الزَّمان، عَمّان، ٢٠١١). وَأَحْسَبُ أَنَّ فَهْمَ (عَبْد الْقادِرِ عَبْد الْجَليل) لِطَريقَةِ (الْخَليل)- رغمَ لُطْفِهِ- لَيْسَ صَحيحاً عَلى إِطْلاقِه، لأَنَّنا إِذا طَبَّقْنا طَريقَةَ (الْخَليل) مَعَ صَوْتِ الْهَمْزَة، فَإِنَّ النّاتِجَ يَجِبُ أَنْ يَكونَ (إِ أْ) لا (أَ أْ). وَنَجِدُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ لَدى (جَعْفَر يايوش)، فَقَدْ فَهِمَ أَنَّ الْهَمْزَةَ في (إِبْ، إِتْ، إِثْ، ...) في "طَريقَةِ الْخَليل" إِنَّما هِيَ مَفْتوحَة، وَذَهَبَ إِلى أَبْعَدَ مِنْ هذا حينَما راحَ يُعَلِّلُ الأَمْرَ بِأَنَّ "الفتحةَ أسهلُ الحركاتِ وأخفُّها"! قال: "لقدِ استَعانَ الخَليلُ عَلى تَذَوُّقِ الحُروفِ وَتَبْيينِ مَقاطِعِها وَتَحْديدِ مَخارِجِها بِتَسْكينِها، لأَنَّهُ رَأى أَنَّ مَخْرَجَ الحَرْفِ إِنَّما يَتَمَثَّلُ يتبين(١) إِذا كانَ ساكناً، ولّما لم يستطِع الابْتِداءَ بالسّاكِنِ بَدَأَهُ بالهمزةِ المفتوحةِ لأنَّ الفتحةَ أسهلُ الحركاتِ وأخفُّها؛ فكانَ يَفْتَحُ فاهُ بالهمزةِ المفتوحة، ويَقِفُ عَلى السّاكنِ فيقول- مثلاً- : (أَبْ، أَتْ، أَعْ) إِلى آخر الحروف، فاهتدى إِلى تحديد المخارج ورتَّبَ الحُروفَ بحسبها كما يأتي: العين، الخاء، الهاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، التاء، الدال، الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الألف، الواو، الياء، الهمزة. وهكذا اصطنع الخليل مقياسا لتذوق الحروف؛ فاعتمد الهمزة وهذا ما جاء عن الليث أن الخليل "كان إذا أراد أن يتذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف نحو: أب، أح، أع". إذن مقياس الخليل في تحليل أصوات الحروف هو التذوق الشخصي والملاحظة بواسطة حاسة السمع الموسيقية"(١). وَلَعَلَّ السَّبَبَ الَّذي دَفَعَ كِلا الْباحِثَيْنِ (عبد القادر عبد الجليل) وَ(جعفر يايوش)، إِلى تَصَوُّرِ الْهَمْزَةِ مَفْتوحَةً في طَريقَةِ (الْخَليل)، راجِعٌ إِلى عِبارَةٍ وَرَدَتْ في "مُقَدِّمَةِ كِتاب الْعَيْن" هِيَ أَنَّهُ لِيَتَذَوَّقَ الْحَرْفَ "كانَ يَفْتَحُ فاهُ بِالأَلِفِ ثُمَّ يُظْهِرُ الْحَرْف، نَحْوَ: ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ..."(١). فَتُوُهِّمَتِ الْفَتْحَةُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ "كانَ يَفْتَحُ فاهُ بِالأَلِف"!

فَأَلْحَقْتَ أَلِفاً حَتّى وَصَلْتَ إِلى اللَّفْظِ بِها، فَكَذلِكَ تُلْحِقُ هذِهِ الأَلِفاتِ حَتّى تَصِلَ إِلى اللَّفْظِ بِها كَما أَلْحَقْتَ الْمُسَكَّنَ الأَوَّلَ في الاسْم"[1].

ج. الْهَمْزَةُ رَكيزَةٌ صَوْتِيَّةٌ لِلْبَدْءِ بِصامِتَيْن

وَارْتِكازُ النّاطِقِ بِالْعَرَبِيَّةِ عَلى الْهَمْزَةِ في الْجانِبِ الصَّوْتِيِّ لَيْسَ مَحْصوراً في ما سَبَق. فَمِمّا تَسْتَبينُ مَعَهُ أَهَمِّيَّةُ الْهَمْزَةِ في الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَواتِها اللُّغاتِ الْجَزرِيَّة، وَيَسْتَعْلي مَعَهُ كَوْنُها الأَقْدَم، أَنَّها الْوَسيلَةُ الْوَحيدَةُ الَّتي تَوَسَّلَتْ بِها الْعَرَبِيَّةُ- مِنْ قَديمٍ- بُغْيَةَ فَضِّ الْمَحْظورِ الصَّوْتِيِّ، أَوِ الْفونولوجِيِّ، الْمُتَمَثِّلِ في الْبَدْءِ بِصَوْتَيْنِ صامِتَيْنِ مُتَتالِيَيْنِ (البَدء بِساكِن حسبَ تَعْبيرِ العُلَماءِ القُدَماء). فَقَدْ كانَتِ الْهَمْزَةُ الْمُسَمّاةُ **هَمْزَةَ الْوَصْل**، دونَ غَيْرِها، وَسيلَةَ اللُّغَةِ لِلتَّوَصُّلِ إِلى النُّطْقِ بِكُلِّ ساكِنٍ واقِعٍ أَوَّلَ الْكَلِمات[2]. وَقَدْ يَكْفي، لِنَتَأَكَّدَ مِنْ أَهَمِّيَّةِ الْهَمْزَةِ وَأَقْدَمِيَّتِها، أَن نَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَقْطَعٍ في اللُّغاتِ الْجَزرِيَّةِ **إِمّا أَنْ يَبْدَأَ بِصَوْتٍ صامِتٍ واحِدٍ، أَوْ**

---

(١) سيبَوَيْه، الكِتاب: ٣٢٢/٣. وَيَبْدو أَنَّهُ كانَتْ لِلْخَليلِ طَريقَةٌ أُخْرى في "تَذَوُّقِ الْحُروف"، وَقَدْ ذَكَرَها (سيبَوَيْه) أَوَّلاً، تَخُصُّ الْحُروفَ الْمُتَحَرِّكَة، أَي الصَّوامِتَ الْمَتْبوعَةَ بِحَرَكَةٍ قَصيرَة (صِ ح)، فَإِنَّهُ كانَ إِذا أَرادَ أَنْ يَنْطِقَ الْباءَ الْمَتْبوعَةَ بِفَتْحَةٍ في (ضَرَبَ)- مَثَلاً- ، مُبْقِياً عَلى الْفَتْحَةِ لِيَنْطِقَ بِالْمَقْطَعِ (ب- َ) كامِلاً، كانَ يُتْبِعُ الْحَرَكَةَ القَصيرَةَ، أَي الفَتْحَةَ الَّتي بَعْدَ الْباء، هاءً تُشْبِهُ أَنْ تَكونَ هاءَ السَّكْت، هكَذا: (بَهْ). قالَ (سيبَوَيْه): "قالَ الخَليلُ يَوْماً وَسَأَلَ أَصْحابَهُ: كَيْفَ تَقولونَ إِذا أَرَدتُّمْ أَنْ تلفظوا بِالْكافِ الَّتي في (لَكَ)، وَالْكاف الَّتي في (مالِكَ) وَالْباء الَّتي في (ضَرَبَ)؟ فَقيلَ لَه: نَقولُ: باء، كاف. فقال: إِنَّما جِئْتُمْ بِالاسْمِ وَلَمْ تلفظوا بِالْحَرْف. وَقال: أَقول: (كَهْ) وَ(بَهْ). فَقُلْنا: لِمَ أَلْحَقْتَ الْهاء، فَقال: رَأَيْتُهُمْ قالوا: (عِهْ) فَأَلْحَقوا هاءً حَتّى صَيَّروها يُسْتَطاعُ الْكَلامُ بِها، لأَنَّهُ لا يُلْفَظُ بِحَرْف" (سيبَوَيْه، الكِتاب: ٣٢٠/٣).

(٢) إِذا كانَ صَحيحاً أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَجْتَلِبُ الْهَمْزَةَ في بَعْضِ الأَحْيانِ لِحَلِّ إِشْكالٍ صَوْتِيٍّ ما، فَإِنَّها تَسْعى في أَكْثَرِ الأَحْيانِ إِلى اطِّراحِها أَو التَّخَلُّصِ مِنْها، وَلا تَعارُضَ بَيْنَ النَّهْجَيْن، ذلِكَ أَنّنا نَجِدُها تَسْتَجِبُّ التَّضْعيفَ في حين، وَتَسْعى إِلى فَكِّهِ في أَحْيان.

بِهَمْزَة، وَذلِكَ أَنَّهُ لا يُبْتَدَأُ فيها بِصَوْتَيْنِ صامِتَيْنِ مُتَتالِيَيْن، فَتُضافُ الْكَسْرَةُ قَبْلَ الصّامِتِ الأَوَّل، ثُمَّ تُجْتَلَبُ الْهَمْزَة. قالَ (بروكلمان): "لا يُمْكِنُ، بِحَسبِ قَوانينِ الْمَقاطِعِ في اللُّغاتِ السّامِيَّة، أَنْ يَلْتَقِيَ صَوْتانِ صامِتانِ في أَوَّلِ الْكَلِمَة، وَلِذلِكَ فَإِنَّهُ إِذا وُجِدَ مِثْلُ هذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ، في صيغَةٍ ما، نَشَأَتْ حَرَكَةٌ جَديدَةٌ قَبْلَ الصَّوْتِ الأَوَّلِ وَنادِراً بَعْدَهُ، وَكَوَّنَتْ مَعَهُ مَقْطَعاً مُسْتَقِلّاً"[1].

وَقَدْ عَقَّبَ (فوزي الشّايب) عَلى كَلامِ (بروكلمان) مُوَضِّحاً بِقَوْلِه: "يَعْني أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنَ الصّامِتَيْن، وَيَتِمُّ ذلِكَ عَنْ طَريقِ تَخْليقِ مَقْطَعٍ جَديدٍ بِإِضافَةِ كَسْرَةٍ قَبْلَ الصّامِتِ الأَوَّل. غَيْرَ أَنَّ إِضافَةَ الْكَسْرَةِ وَحْدَها لا تَحُلُّ الْمُشْكِلَة، لأَنَّهُ سَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ابْتِداءُ الْمَقْطَعِ بِحَرَكَة، وَلكِنَّ الْمَقاطِعَ الْعَرَبِيَّةَ وَالسّامِيَّةَ عامَّةً لا تَبْتَدِئُ مَقاطِعُها إِلّا بِصامِت... **وَلِلتَّغَلُّبِ عَلى هذِهِ الْمُشْكِلَةِ تَعْمَدُ الْعَرَبِيَّةُ بِشَكْلٍ آلِيٍّ إِلى تَحْقيقِ الْحَرَكَة، وَبِتَحْقيقِها تَتَخَلَّقُ الْهَمْزَة**، هِيَ هذِهِ الْمَعْروفَةُ بِهَمْزَةِ الْوَصْل. قالَ (بروكلمان): "**كُلُّ حَرَكَةٍ في أَوَّلِ الْكَلِمَةِ في اللُّغاتِ السّامِيَّةِ تَنْطَلِقُ في الأَصْلِ مُحَقَّقَةً، بِمَعْنى أَنَّها تُسْبَقُ بِهَمْزَة**""[2]. وَيَبْدو أَنَّ هذا التَّدْبيرَ الْمُعْتَمَدَ عَرَبِيّاً، وَجزرِيّاً، قَديمٌ جِدّاً.

---

(١) كارل بروكلمان، فِقْهُ اللُّغاتِ السّامِيَّة، تَرْجَمَةُ: رَمَضان عبد التَّوّاب، ص٧٣، جامِعَةُ الرِّياض، الرِّياض، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السّعودِيَّة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

(٢) فوزي حَسَن الشّايب، تَصْويبُ قَوْلِ الْعامَّة: فُلانٌ أَخِصّائِيّ بِكَذا وَكَذا، ص٣٣١-٣٣٢، مجلَّة مَجْمَع اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الأُرْدُنِيّ، العَدَد (٣٦)، يناير ١٩٨٩.

وَتَأْسيساً عَلى ذلِك، لَنا أَن نَتَصوَّرَ أَهَمِّيَّةَ الْهَمْزَةِ، وَقِدَمَها، وَحَجْمَ اسْتِعْمالِها في الْعَرَبِيَّة، حينَ نَعْرِفُ أَنَّ هَمْزَةَ الْوَصْلِ، مُجْتَلَبَةٌ في حالِ كُلِّ فِعْلِ أَمْرٍ ابْتَدَأَ بِصَوْتَيْنِ صامِتَيْنِ مُتَتالِيَيْنِ بَعْدَ إِسْقاطِ حَرْفِ الْمُضارَعَةِ مَعَ ما يَليهِ مِنْ حَرَكَة، وَفي حالِ كُلَّ فِعْلِ أَمْرٍ مِنَ الثُّلاثِيِّ: (اِبْقَ، اِجْلِسْ، اُدْرُسْ، اِذْهَبْ، اِفْتَحْ، ...)، وَكُلِّ فِعْلٍ ماضٍ خُماسِيّ (**اِفْتَعَل، اِنْفَعَل**): (اِجْتَمَعَ، اِرْتَبَطَ، اِشْتَرَكَ، اِنْتَظَرَ، ...)، وَأَمْرِهِ: (اِجْتَمِع، اِرْتَبِطْ، اِشْتَرِكْ، اِنْتَظِرْ، ...)، وَمَصْدَرِهِ: (اِجْتِماع، اِرْتِباط، اِشْتِراك، اِنْتِظار، ...). وَوَزْن: (**اِفْعَلَّ**): (اِبْيَضَّ، اِحْمَرَّ، اِخْضَرَّ، اِزْرَقَّ، اِسْوَدَّ، اِعْوَجَّ، اِعْوَرَّ، ...). وَنَجِدُ الْهَمْزَةَ تَحِلُّ كَذلِكَ مِنْ كُلِّ سُداسِيٍّ أَوَّلا، سَواء كانَ فِعْلاً ماضِياً، أَوْ فِعْلَ أَمْرٍ، أَوْ مَصْدَراً: (اِسْتَخْرَجَ، اِسْتَوْعَبَ، اِسْتَعَدَّ، ...)، (اِسْتَخْرِجْ، اِسْتَوْعِبْ، اِسْتَعِدَّ، ...)، (اِسْتِخْراج، اِسْتِيعاب، اِسْتِعْداد، ...).

وَلا نَنْسى عَلاوَةً على ما سَلَف، أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ رُباعِيٍّ مَزيدٍ بِالْهَمْزَةِ، أَيْ عَلى وَزْنِ (**أَفْعَلَ**)، فَمَصْدَرُهُ (**إِفْعال**): (أَثْقَلَ/إِثْقال)، (أَجْلَسَ/إِجْلاس)، (أَحْسَنَ/إِحْسان)، (أَرْدَفَ/إِرْداف)، (أَزْعَجَ/إِزْعاج)، (أَسْبَلَ/إِسْبال)، (أَقْبَلَ/إِقْبال)، (أَكْرَمَ/إِكْرام)، (أَنْشَدَ/إِنْشاد)...

الْمُرَجِّحُ الثّاني: اِشْتِراكُ الْهَمْزَةِ في تَكْوينِ عَدَدٍ مِنَ الصِّيَغِ "الأَساسِيَّةِ" في الْعَرَبِيَّة

مِمّا يُشيرُ إِلى أَقْدَمِيَّةِ الْهَمْزَةِ، أَنَّ كَثْرَةً واضِحَةً مِنَ الْكَلِماتِ الْعَمَلِيَّةِ الأَساسِيَّة، وَالْوَظيفِيَّة، الْمُتَعَلِّقَةِ بِمُفْرَداتِ الْحَياةِ الْيَوْمِيَّةِ لِلْعَرَبِيِّ

وَشُؤونِها، تِلْكَ الَّتي لا يُتَصَوَّرُ اسْتِغْناؤُهُ عَنْها بِحالٍ مِنَ الأَحْوال، تَشْتَمِلُ عَلى الْهَمْزَة. مِنْ ذلِك:

أ. تَتَصَدَّرُ الْهَمْزَةُ الأَلْفاظَ الدّالَّةَ عَلى أَفْرادِ الأُسْرَةِ الْمُقَرَّبين: (أَب)، وَ**(أُمّ)**، وَ**(أَخ)**، وَ**(أُخْت)**، وَ**(ابْن)** وَ**(ابْنَة)**[1]، إِضافَةً إِلى لَفْظِ **(أَرْض)** الَّتي كانَت تُمِدُّهُ بِالْكَثيرِ مِمّا يَتَقَوّى بِهِ عَلى شُؤونِ الْحَياةِ مِنْ ماءٍ وَغِذاء، وَكانَت تَعْتَمِدُ عَلَيْها حَيواناتُهُ، وَكانَت تَحْتَضِنُ لَهُ أَمْواتَه، ... وَكَذلِكَ الأَلْفاظ الَّتي تُحيلُ إِلى بَعْضِ مُمْتَلَكاتِهِ الَّتي مِنْها يَصْدُرُ بَعْضُ شَرابِهِ وَطَعامِهِ الأَساسِيَّيْن: **(إِبِل)**، وَ**(أَنْعام)**... وَأَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ اللَّفْظُ الدّالُّ عَلى أَكْبَرِ وَأَقْوى ما تَصَوَّرَهُ في حَياتِه: **(إِله-** الله)، وَهُوَ الَّذي كانَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ في مُناسَباتِهِ كُلِّها، وَأَحْوالِهِ جَميعِها، رَغَباً وَرَهَباً.

ب. تَتَصَدَّرُ الْهَمْزَةُ الضَّمائِرَ: وَهِيَ مِنَ الْعَناصِرِ اللُّغَوِيَّةِ الْوَظيفِيَّةِ الْموغِلَةِ في الْقِدَم، فَضَميرُ التَّكَلُّمِ الْمُفْرَدُ يَبْدَأُ بِالْهَمْزَة: **(أَنا)**، وَصيغَةُ ضَميرِ التَّكَلُّمِ الْجَمْع: **(نحن)**، مُتَطَوِّرَةٌ عَنْ أَصْلٍ مَبْدوءٍ بِالْهَمْزَة: **(أَنَحْنُ)**، حَسبَ مُقَرَّراتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْمُقارن، إِذْ هُوَ بِالْهَمْزَةِ في أَغْلَبِ اللُّغاتِ الجزريَّة، هذا يَعْني أَنَّ ضَميرَ التَّكَلُّمِ الْجَمْعَ كانَ يَحْوي الْهَمْزَةَ في إِحْدى مَراحِلِ تَطَوُّرِ الْعَرَبِيَّة: **(أَنَحْنُ - > نَحْنُ)**[2]. وَضَمائِرُ

---

(١) لا فَرْقَ مِنَ النّاحِيَةِ الصَّوْتِيَّةِ بَيْنَ هَمْزَةِ الْقَطْعِ، وَهَمْزَةِ الْوَصْلِ حينَ التَّلَفُّظِ بِها أَوَّلَ الْكَلامِ الْمَنْطوق. قالَ (داود عبده): "لَيْسَ هُناكَ فَرْقٌ بَيْنَ كَلِمَةِ اِنْكَسَرَ وَعِبارَةِ إِنْ كَسَرَ، مَثَلاً" (داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل": ص٧٨).

(٢) محمود رَمَضان الدّيكي، ضَميرا الْمُتَكَلِّم: أَصْلُهُما وَتَطَوُّرُهُما في الْعَرَبِيَّةِ وَلَهجاتِها، مَقْبولٌ لِلنَّشْرِ في مَجَلَّةِ كُلِّيَّةِ الآداب، جامِعَة الْقاهِرَة. وَإِنَّ الَّذي يَجْعَلُني أَقولُ بِأَصالَةِ الْهَمْزَةِ في

الْخِطاب كُلُّها- كَما لا يَخْفى- تَبْدَأُ بِالْهَمْزَة، سَواء تِلْكَ الَّتي لِلْمُذَكَّرِ: (**أَنْتَ – أَنْتُما – أَنْتُم**)، أَوْ تِلْكَ الَّتي لِلْمُؤَنَّث: (**أَنْتِ – أَنْتُما - أَنْتُنَّ**). حَتّى إِنَّ ضَميرَي الْغَيْبَةِ: (هُوَ، هِيَ) كانَتْ بِنْيَتاهُما مُشْتَمِلَتَيْنِ عَلى الْهَمْزَةِ كِسَعاً: (**هُؤَ**)، (**هِئَ**)[1]. قالَ (فَوْزي الشّايب): "وَالَّذي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقونَ مِنْ عُلَماءِ السّامِيّاتِ أَنَّ أَصْلَ ضَميرِ الْغَيْبَةِ لِلْمُذَكَّرِ (hū)، وَ(Šī) لِلْمُؤَنَّث[2]، ثُمَّ طُعِّمَ هذا الأَصْلُ أَوْ رُمِّمَ بِمَقْطَعٍ قَصيرٍ هُوَ (a**'** : **أ**) فَأَصْبَحَ الضَّميرانِ بِالتّالي (hū'a) (**هُؤَ**)[3] وَ(**Šī'a**) (**شِيءَ**)"[4]. وَقَدْ ذَكَرَ (الشّايب) أَنَّ "الْغَرَضَ مِنْ عَمَلِيَّةِ التَّطْعيمِ هذِهِ هُوَ مُعالَجَةُ الانْقِراضِ

(أَنَحْنُ) لَيْسَ فَقَط وُجودَ هذِهِ الْهَمْزَةِ في أَخَواتِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ اللُّغاتِ الجزريَّةِ الأُخْرى، بَلْ وُجودَ الْهَمْزَةِ في ضَميرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُفْرَدِ في الْعَرَبِيَّةِ نَفْسِها: (أَنا). فَالْمَشْهودُ أَنَّنا نَجِدُ (الْهاءَ) مُشْتَرَكَةً بَيْنَ ضَميرِ الْغَيْبَةِ الْمُفْرَدِ وَسِواهُ مِنْ ضَمائِرِ الْغَيْبَة: (هُوَ، هُما، هُمْ، هِيَ، هُما، هُنَّ). وَكَذا بِالنِّسْبَةِ لِضَمائِرِ الْخِطاب، حَيْثُ نَجِدُ (الْهَمْزَةَ) مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الْمُفْرَدِ وَما عَداهُ مِنَ الضَّمائِر: (أَنْتَ، أَنْتُما، أَنْتُم، أَنْتِ، أَنْتُما، أَنْتُنَّ). لِذلِكَ، الرّاجِحُ أَنْ يَكونَ هذا الأَمْرُ نَفْسُهُ قَدْ كانَ جارِياً- في إِحْدى الْمَراحِلِ- عَلى ضَميرَيِ التَّكَلُّم: (أَنا)، (أَنَحْنُ).

(١) فَوْزي حَسَن الشّايب، ضَمائِرُ الْغَيْبَةِ: أُصولُها وَتَطَوُّرُها، حَوْلِيّاتُ كُلِّيَّةِ الآداب- جامِعَةُ الْكُوَيْت، الْحَوْلِيَّةُ الثّامِنَة، الرِّسالَةُ السّادِسَةُ وَالأَرْبَعون، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص٢٠- ٢١.

(٢) ثُمَّ كانَ أَنْ تَغَلَّبَتْ هاءُ الْمُذَكَّرِ عَلى شينِ الْمُؤَنَّثِ في اللُّغاتِ الْجَزْرِيَّة، فَتَحَوَّلَتْ شينُ الْمُؤَنَّثِ إِلى هاء قِياساً عَلى هاءِ الْمُذَكَّر، ما عَدا الأَكّادِيَّة الَّتي حَصَلَ فيها الْعَكْس، حَيْثُ تَغَلَّبَتْ شينُ الْمُؤَنَّثِ عَلى هاءِ الْمُذَكَّر، فَتَحَوَّلَتْ هاءُ الْمُذَكَّرِ إِلى شين قِياساً عَلى الْمُؤَنَّث، وَلَكِنْ، "حوفِظَ عَلى الْفَرْقِ بَيْنَ الْهاءِ وَالسّينِ في اللَّهْجَةِ المهريَّةِ وَلَهْجَةِ سوقطرة حَتّى يَوْمِنا هذا" (فَوْزي حَسَن الشّايب، ضَمائِرُ الْغَيْبَةِ: أُصولُها وَتَطَوُّرُها، ص١٨).

(٣) لَعَلَّ الْمَقْصودَ: (هوءَ): (ه- ُ- ُء- َ).

(٤) فَوْزي حَسَن الشّايب، ضَمائِرُ الْغَيْبَةِ: أُصولُها وَتَطَوُّرُها، ص١٩.

الـصَّوْتِيِّ وَالـدِّلالِيِّ لِلـضَّمائِرِ وَمَنْحُهـا قواماً أَكْثَـرَ قُـوَّةً، فَـالْمَعْروفُ أَنَّ الضَّمائِرَ دَوالُّ نِسْبَة، وَدَوالُّ النِّسْبَةِ آتِيَةٌ مِنْ كَلِماتٍ مَليئَة، عَمِلَتْ فيها التَّغَيُّـراتُ الـصَّوْتِيَّةُ عَمَلَهـا بِـشَكْلٍ هَـدَّدَ بَقاءَهـا، فَـالتَّغَيُّراتُ الـصَّوْتِيَّةُ بِتَقْـصيرِها لِلْكَلِمـاتِ تُعَرِّضُـها لِلْبِلـى، وَمِـنْ هُنـا تَـأْتي عَمَلِيَّـةُ التَّطْعـيمِ وَالتَّرْميمِ بِاللَّواحِقِ الَّتي لَيْسَ لَها أَيَّةُ قيمَةٍ دِلالِيَّة، وَإِنَّما الْقَصْدُ مِنْها هُوَ تَزْويدُ الْكَلِمَةِ بِالْحَجْمِ الضَّروريِّ للإِبْقاءِ عَلَيْها حَيَّةً في الاسْتِعْمال"[1].

كَما أَنَّ ضَمائِرَ النَّصْبِ الْمُنْفَصِلَةَ، وَهِيَ الَّتي تَأْتي لأَحْوالِ الشَّخْصِ الثَّلاث: التَّكَلُّمِ وَالْخِطابِ وَالْغَيْبَة، كُلُّها تَبْتَدِئُ بِالْهَمْزَةِ دونَ اسْتِثْناء: (**إِيّايَ- إِيّانا، إِيّاكَ- إِيّاكُما- إِيّاكُم- إِيّاكِ- إِيّاكُما- إِيّاكُنَّ، إِيّاهُ- إِيّاهُما- إِيّاهُم- إِيّاها- إِيّاهُما- إِيّاهُنَّ**). يَنْضافُ إِلى هذا وُقوعُ الْهَمْزَةِ صَدْرَ الموصولات الخاصَّة: (**الَّذي- اللذانِ- الَّذينَ- الَّتي- اللَّتانِ- اللَّواتي- اللّائي- اللَّوائي**).

قالَ (محمَّد التّونجي) قاصِداً الْهَمْزَةَ: "وَبَعْدَ حينٍ مِنَ الزَّمانِ دَخَلَ هذا الْحَرْفُ مَرْحَلَةَ تَرْكيبِ الضَّمائِر، وَعُدَّ أُسّاً مُهِمّاً بِها. أَلا تَرى أَنَّهُمْ يَبْدَأونَ بِهِ في مَطْلَعِ كُلِّ ضَمير؟ فَتَراهُمْ يَلْفِظونَهُ مَفْتوحاً مَعَ ضَمائِرِ الرَّفْعِ: أَنا، أَنْتَ، أَنْتِ، أَنْتُما، أَنْتُمْ، أَنْتُنَّ، وَمَكْسوراً مَعَ ضَمائِرِ النَّصْبِ: إِيّاكَ، إِيّاكِ، إِيّاكُما، إِيّاكُمْ، إِيّاكُنَّ"[2]. ثُمَّ قالَ (التّونجي) تالِياً: "وَإِذا أَرادَ

(١) السّابق نفسه.

(٢) محمَّد التّونجي، رَأْيٌ في جُذورِ الضَّمائِرِ الْعَرَبِيَّة، اللِّسان الْعَرَبِيّ، مج١٣، ١٩٧٦م، ص١٠٢.

الْعَرَبِيُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ لَفَظَ الْحَرْفَ "أ" وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلى نَفْسِهِ، وَإِذا خاطَبَ مَنْ أَمامَهُ قالَ: "أ" وَأَشارَ إِلَيْه..."[1].

ج. تَتَصَدَّرُ الْهَمْزَةُ الْكَثيرَ مِنَ الأَدَواتِ[2]، وَتُشارِكُ في تَكْوينِ بَعْضِها، مِثْلَ: (آ)، (آنِفاً)، (أَمامَ)، (أَمْسِ)، (أَيا)، (أَجَلْ)، (إِذْ)، (إِذْ ما)، (إِذ ذاكَ)، (إِذا)، (إِذا ما)، (إِذَنْ)، (أَلْ)، (أَلا)، (أَلا إِنَّ، أَلا وَإِنَّ)، (البَتَّةَ)، (إِلّا)، (أَلّا)، (إِلى)، (أَمَا)، (أَمْ)، (أَمّا)، (إِمّا)، (إِنْ)، (أَنْ)، (إِنَّ)، (إِنَّما)، (أَنَّ)، (أَنَّما)، (أَنّى)، (أَوْ)، (إِي)، (أَيْ)، (أَيّ)، (أَيُمُن)، (أَيّانَ)، (أَيْنَ)، (أَيْنَما)، (كَأَنَّ)، (كَأَيِّنْ)، (وَراءَ).

د. تُجْلَبُ الْهَمْزَةُ بِوَصْفِها سابِقَةً (هَمْزَةً مَتْبوعَةً بِفَتْحَة) لِتَكْوينِ بَعْضِ أَبْنِيَةِ الْجُموعِ في الْعَرَبِيَّةِ: مِنْها (**أَفْعُل**)، كَـ(أَبْحُر، أَدْرُع، أَرْجُل، أَسْهُم، أَعْيُن، أَلْسُن، أَنْفُس، أَنْهُر، أَيْمُن)، وَ(**أَفْعال**)، كَـ(أَبْصار، أَبْطال، أَجْفان، أَجْمال، أَحْمال، أَحْيان، أَرْطال، أَزْناد، أَسْياف، أَضْياف، أَعْداد، أَعْضاد، أَعْناب، أَعْناق، أَفْراخ، أَقْفال، أَنْمار، أَنْهار، أَوْصاف)، وَ(**أَفْعِلَة**)، كَـ(أَبْنِيَة، أَدْوِيَة، أَرْدِيَة، أَرْغِفَة، أَسْئِلَة، أَعْمِدَة، أَغْذِيَة، أَفْئِدَة، أَفْنِيَة، أَقْبِيَة، أَكْسِيَة، أَنْظِمَة، أَوْدِيَة). وَتَأْتي الْهَمْزَةُ **لاحِقَةً** في وَزْنِ (**فُعَلاء**): (أُصَلاء، بُخَلاء، جُلَساء، خُلَطاء، شُعَراء، ظُرَفاء، عُقَلاء، كُرَماء، نُدَماء). وَتَأْتي **سابِقَةً وَلاحِقَةً**- في الآنِ نَفْسِهِ-

---

(١) السّابِق نَفْسه.

(٢) أَعْني بِالأَدَواتِ هُنا ما عَناهُ (ابْنُ هِشام) مِنَ (الْمُفْرَداتِ) في أَوَّلِ (مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب)، حَيْثُ أَرادَ "الْحُروفَ وَما تَضَمَّنَ مَعْناها مِنَ الأَسْماءِ وَالظُّروف" (ابن هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ١/ ٦٥).

في وَزْنِ (**أَفْعِلاء**): (أَشِدّاء، أَصْدِقاء، أَعِزّاء، أَقْرِباء، أَقْوِياء، أَوْلِياء). وَتَأْتي الْهَمْزَةُ **داخِلَةً، أَوْ حَشْواً**، في وَزْنِ (**فَعائِل**): (ذَوائِب، جَرائِم، حَمائِل، رَسائِل، سَبائِك، سَحائِب، شَمائِل، صَحائِف، عَجائِز). كَما يُتَوَكَّأُ عَلى **سابِقَةِ الْهَمْزَةِ لِإِنْشاءِ صيغَةِ التَّفْضيلِ الْوَحيدَةِ في الْعَرَبِيَّة: (أَفْعَل)**.

ه. تَتَصَدَّرُ الْهَمْزَةُ أَداةَ التَّعْريفِ الْوَحيدَةَ في الْعَرَبِيَّة: (الـ)، وَهذا مِمّا لا يُمْكِنُ إِهْمالُهُ أَوِ التَّغاضي عَنْه، إِذْ لَهُ قيمَتُهُ وَدِلالَتُهُ في سِياقِ ما نَحْنُ فيهِ مِنْ مُرَجِّحاتٍ لِلْحُكْمِ في مَسْأَلَةِ أَيّ مِنْ أَداتَيِ الاسْتِفْهام أَقْدَم: (هَمْزَة الاسْتِفْهام) أَمْ (هَلْ)؟

و. الْهَمْزَةَ هِيَ أَصْلُ كُلِّ أَلِفٍ لَيْسَتْ "بَدَلاً" مِنْ واوٍ أَوْ ياء، وَهُوَ ما أَثْبَتَهُ (داود عَبْده) بِأَدِلَّةٍ كَثيرَة، قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعينَ سَنَةً، وَيَتَأَسَّسُ عَلَيْهِ أَنَّ كُلَّ أَلِفٍ في الأَفْعالِ الْمَزيدَة، وَكُلَّ أَلِفٍ في اسْمِ الْفاعِلِ، وَكُلَّ أَلِفٍ في الْمُثَنّى، هِيَ في الأَصْلِ هَمْزَة. وَكانَ مِمّا أَوْرَدَهُ "أَنَّ الْبِنْيَةَ الْعَميقَةَ لِصيغَةِ (**فاعَلَ**) هِيَ: (**فَأْعَلَ**)، وَلِصيغَةِ (**تَفاعَلَ**) هِيَ: (**تَفَأْعَلَ**)، وَلِصيغَةِ (**افْعالَّ**) هِيَ: (**اِفْعَأْلَلَ**)، وَلِصيغَةِ (**يَفْعَلان**): (**يَفْعَلَأْن**)، وَلِصيغَةِ (**فاعِل**) هِيَ (**فَأْعِل**)، وَأَنَّ الْهَمْزَةَ سَقَطَتْ مِنْ هذِهِ الصِّيَغِ وَأُطيلَتِ الْفَتْحَةُ السّابِقَةُ لَها (كَما سَقَطَتِ الْهَمْزَةُ الثّانِيَةُ في مِثْلِ أَأْمَنَ، مَثَلاً، وَأُطيلَتِ الْفَتْحَةُ السّابِقَةُ لَها فَأَصْبَحَتْ: (آمَنَ)، وَكَما سَقَطَتِ

الْهَمْـزَةُ وَأُطيلَـتِ الْعِلَّـةُ الْقَـصيرَةُ ("الْحَرَكَـة") الـسّابقة لَهـا في مِثْـلِ (راس) وَ(بير) وَ(شوم) في اللَّهجاتِ الْمُعاصِرَة"[1].

الْمُرَجِّح الثّالث: أَثَرٌ لِهَمْزَةِ الاسْتِفْهامِ في بَعْضِ اللّهجات:

الحَقُّ أَنَّني أَجِدُ لِهَمْـزَةِ الاسْتِفْهامِ أَصْلاً مُسْتَعْمَلاً في بَعْـضِ اللَّهَجـاتِ العَرَبِيَّـةِ المَحْكِيَّـةِ اليَـوْمَ، دونَ الأَداةِ الأُخْـرى (**هَـلْ**)، وَهـذا قَـدْ يُعْلـي مِـنْ شَأْنِ الرَّأْيِ الذي أُحاوِلُ إِثْباتَـهُ هُنا، مِـنْ كَـوْنِ (**الهَـمْـزَةِ**) أَقْـدَمَ مِـنْ (**هَـلْ**). ذلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَرِدُ عَلى الواحِدِ مِنّا، أَثْناءَ التَّواصُلِ الشّفاهِيِّ مَعَ أَبْناءِ جِلْدَتِهِ مِنَ النّاطِقينَ بِالعَرَبِيَّة، مَنْ يَنْقُلُ لَهُ خَبَراً، أَوْ يَقولُ لَهُ رَأْياً يَنْطَـوي عَلى ما يُثيرُ الدَّهْشَةَ أَوِ الاسْتِنْكار، الأَمْرُ الَّـذي يَـدْفَعُ المُسْتَمِعَ إِلى أَنْ يَقْطَـعَ كَـلامَ النّاقِـلِ أَوِ المُرْسِـلِ، أَوْ يُتْبِـعَ كَلامَـهُ، بِمَقْطَـعٍ صَـوْتِيٍّ يَـضُمُّ صَـوْتَ الهَـمْـزَةِ مَتْبوعاً بِفَتحَة: (**أَ...؟!**)، شافِعاً نُطْقَـهُ هـذا المَقْطَـعَ بِإِيمـاءَةٍ خَفيفَـةٍ لِلـرَّأْس، وَكَأَنَّ المُتَلَقِّيَ يَسْأَلُهُ عَنْ صِحَّةِ أَوْ حَقيقَـةِ ما سَـمِعَ مِـنْ خَبَـرٍ أَوْ رَأْي، وَلِـذا فَإِنَّـهُ سُـؤالٌ لا يَخْلـو مِـنَ التَّعَجُّـب. وَيُخَيَّـلُ إِلَـيَّ أَنَّ هـذا المَقْطَـعَ (**أَ...؟!**)، المُسْتَخْدَمَ عَلى النَّحْوِ الْمَوْصوفِ إِنَّما هُوَ عَلى تَقْديرِ: (أَهذا صَـحيحٌ؟!)، أَوْ (أَهذا كائِنٌ؟!)، أَوْ (أَهذا مَعْقول؟!)، أَوْ نَحْوٍ قَريب.

وَمِـنَ الثّابِـتِ أَنَّ (**الهَـمْـزَةَ**) قَـد تَخْـرُجُ في الْفُـصْحى عَـنِ الاسْـتِفْهامِ الحَقيقِيِّ–هَوْناً– إِلى مَعانٍ أُخْرى، مِنْها الإِنْكارُ وَالتَّعجُّب[2]. وَلِهذا صِلَةٌ وَثيقَةٌ بِما ذَكَـرَهُ (سيبَوَيْهِ) في سِياقِ حَديثِهِ عَـنْ (**هَـلْ**) وَ(**الهَـمْـزَة**): "وَمِمّـا

(١) داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل": ص١١٥.

(٢) انظر: ابن هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ١/٩١- ٩٧. و: فاضل صالح السّامرّائِيّ، معاني النَّحو: ٤/٢٠٠- ٢٠١.

يَدُلُّكَ عَلى أَنَّ أَلِفَ الاسْتِفْهامِ لَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ (هَلْ)، أَنَّكَ تَقولُ للرَّجُلِ: أَطَرَباً؟! وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَد طَرِبَ، لِتُوَبِّخَهُ وَتُقَرِّرَه[1]. وَلا تَقولُ هذا بَعْدَ (هَلْ)"[2].

وَرُبَّما يَحِقُّ لَنا مِنْ بَعْدِ هذا أَن نَزْعُمَ أَنَّ العَرَبِيَّةَ قَدِ اسْتَحْدَثَتْ هذا المَقْطَعَ (أَ...؟!)، الذي سُمِّيَ تَقْليدِيّاً (الهَمْزَة)، وَأَوْجَدَتْهُ بادِئَ الأَمْرِ لِلْغَرَضَيْنِ مَعاً، جَنْباً إِلى جَنْب: الاسْتِفْهام وَالتَّعَجُّب. وقَد تُفْضي أَحْياناً شِدَّةُ التَّعَجُّبِ بِالْمُتَلَقّي– في تِلْكَ اللهجاتِ– إِلى أَنْ يُبالِغَ قَليلاً في تَحْقيقِهِ الهَمْزَةَ لِتَتَحَوَّلَ إِلى صَوْتٍ حَلْقِيٍّ احْتِكاكِيٍّ مَجْهورٍ هُوَ العَيْن. وَطِبْقاً لِهذا، فَإِنَّ الاسْتِفْهامَ عَنِ الجُمْلَةِ أَوِ الحَمْلِ أَوِ النِّسْبَةِ، أَي الاسْتِفْهام التَّصْديقِيّ الذي يُجابُ عَنْهُ بِـ(نَعَمْ) أَوْ (لا)، يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ أَقْدَمَ مِنَ الاسْتِفْهامِ الآخَرِ الذي يُسْأَلُ بِهِ عَنْ كَلِمَةٍ أَوْ مَحْمولٍ (الاسْتِفْهام التَّصَوُّرِيّ)[3].

---

(١) لَعَلَّ المَقْصودَ بِـ(تقرِّره) التَّقْريرُ الَّذي هُوَ الإِثْبات، أَوْ أَنَّكَ تَطْلُبُ مِنْهُ الإِقْرارَ وَالاعْتِراف بِالطَّرَب، (تُقَرِّره) أَيْ: تَدْفَعه إِلى الإِقْرار.

(٢) سيبوَيْه، الكِتاب: ١٧٦/٣.

(٣) واضِحٌ مِنَ الطَّرْحِ المُقَدَّمِ هُنا أَنَّني أَقولُ بِأَنَّ اسْتِخْدامَ الهمزةِ عَلى النَّحوِ المَوْصوفِ في بَعْضِ اللهجاتِ العربيَّةِ المَحْكِيَّةِ اليَوْم، يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ الأَساسَ الذي مِنْهُ طَوَّرَتِ اللغَةُ اسْتِعْمالَ هَمْزَةِ الاسْتِفْهام كَما هُوَ ماثِلٌ في اللغَةِ الفُصْحى. وَلكِنْ يَبْقى–عَلى أَيِّ حالٍ– صَحيحاً القَوْلُ: إِنَّهُ لا وُجودَ لهمزةِ الاسْتِفْهامِ ضِمْنَ تَراكيبِ اسْتِفْهامٍ كامِلَةٍ في اللّهجاتِ المَحْكِيَّةِ اليَوْم، وهذا–رُبَّما– هُوَ عَيْنُ المَفْهومِ مِنْ كَلامِ (مَحْمود الدّيكِيّ): "لا وُجودَ لِلْهَمْزَةِ في اللهجاتِ المَحْكِيَّة" (محمود رمضان الدّيكِيّ، الهمزة و(هل): دراسة في الفروق التّركيبيَّة والدّلالِيَّة، ص٥٧).

وَلَسْتُ أَرى في الرَّأْيِ الذي أَرى أَيَّ غَرابَة، فَاسْتِخْدامُ المُتَلَقّي الهَمْزَةَ للسُّؤالِ عَنْ مَضْمونِ ما قالَهُ المُرْسِل، اسْتِخْدامٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ موغِلاً في القِدَمِ حَقّاً وَصِدْقا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ سابِقاً اسْتِخْدامَ (**هَلْ**) أَوْ تَطْويرَها، عَلى اعْتِبارِ أَنَّ (**الهَمْزَةَ**)–بِبَساطَةٍ شَديدَة- "هِيَ أَوَّلُ الأَصْواتِ العَرَبِيَّةِ مَخْرَجاً"[1]. وَبِهِ، أَيْ بِكَوْنِ (**الهَمْزَةِ**) أَوَّلَ الأَصْواتِ العَرَبِيَّةِ مَخْرَجاً[2]، نُفَسِّرُ–بِبَساطَةٍ أَشَدّ- دُخولَ الهَمْزَةِ في أَنْساقٍ تَرْكيبِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ في العَرَبِيَّة، كَالاسْتِفْهامِ وَالنِّداءِ وَالتَّعْدِيَة. وَيُؤَيِّدُ هذا بِقُوَّةٍ كَلامٌ أَوْرَدَهُ قَديماً (عَبْدُ الْحَقّ فاضِل) حينَ قال: "كانَ مُوَفَّقاً جِدّاً ذلِكَ الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ الْقَديم، الْمَجْهول، الَّذي جَعَلَ الْهَمْزَةَ أَوَّلَ الْحُروفِ الْعَرَبِيَّة، لأَنَّهُ الصَّوْتُ الطَّبيعِيُّ الَّذي يَنْطِقُهُ الْبَشَرُ مِنْ جَميعِ الأَقْوام، مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُهودِ فيما يَظْهَر. وَيَسْتَعْمِلُهُ الإِنْسانُ الْعَرَبِيُّ–ما يَزال– في التَّعْبيرِ عَنْ مُخْتَلِفِ حالاتِهِ الانْفِعالِيَّةِ وَالْبَيانِيَّة، مِنْ أَنينٍ (أه)، وَتَعَجُّبٍ (آه!)، وَاسْتِزادَةٍ (إيه!)، وَضَحِكٍ (أه، أه، أه ..)، وَنِداءٍ (آ، أ، ..)، وَاسْتِفْهامٍ (أ؟)، وَإِيجابٍ مَعَ الْقَسَم (إي)..."[3].

---

(١) كمال محمَّد بشر، علم اللغة العامّ – الأَصْوات، ط٩، ص٩٥، دار المَعارِف بِمِصْر، القاهِرَة، ١٩٨٦.

(٢) وَقَدْ نَعَتَ (كمال محمَّد بشر) الحُكْمَ عَلى الهمزة بِكَوْنِها أَوَّلَ الأَصْواتِ مخرجاً بِأَنَّهُ "حُكْمٌ سَليمٌ لا غُبارَ عَلَيْه" (السّابِق نَفْسه).

(٣) عَبْد الْحَقّ فاضِل، مُغامَراتٌ لُغَوِيَّة (مَلِكَة اللُّغات)، ص٢٤٩، تَوْزيع: دار الْعِلْمِ لِلْمَلايين، د.ت.

وَما نَحْنُ بِصَدَدِ تَجْلِيَتِهِ وَمُحاوَلَةِ إِثْباتِه، مُؤَيَّدٌ- كَرَّةً أُخْرى- بِقَوْلٍ أَوْرَدَهُ (محمَّد التّونجي): "وَمِنَ الْبَديهِيِّ أَنْ يَكونَ الصَّوْتُ (آ)[1] أَوَّلَ حَرْفٍ نَطَقَهُ إِنْسانُنا الأَوَّلُ في الْجَزيرَةِ الْعَرَبِيَّة. وَلِهذا فَإِنَّهُ اسْتَخْدَمَهُ في النِّداءِ وَالاسْتِغاثَةِ وَالتَّرَحُّمِ وَالتَّنْبيهِ وَالْحَثِّ وَالضَّجَرِ وَالتَّصْديقِ وَالإِجابَة. فَإِذا تَأَلَّمَ الإِنْسانُ نَطَقَ، بِلا وَعْيٍ مِنْهُ، لَفْظَةَ (آي)، وَإِذا أَرادَ التَّصْديقَ عَلى أَمْرٍ قالَ: (أ) أَوْ (آ) حَسَبَ الْمَنْطَقَةِ الَّتي نَشَأَ فيها. وَإِذا اسْتَفْهَمَ عَنْ أَمْرٍ نَطَقَ: (إيه؟) وَالْهاءُ لِلْوَقْفِ طَبْقاً[2]، وَهكَذا"[3].

وَلا نَنْسى أَنَّ هذا كُلَّهُ يُؤَيِّدُ ما ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعُلَماءُ مِنْ كَوْنِ الهَمْزَةِ أُمَّ الأَدَواتِ في بابِ الاسْتِفْهام.

الْمُرَجِّحُ الرّابِع: التَّدَرُّج في التَّطَوُّر

ذَهَبْتُ في بَحْثٍ سابِقٍ إِلى أَنَّ الأَصْلَ في الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيِّ، أَنْ يَكونَ في اللُّغاتِ كُلِّها خلْواً مِنْ أَيِّ أَداة، أَنْ يَكونَ مُعْتَمِداً–حَسْبُ- عَلى التَّنْغيم، وَهُوَ ما عَلَيْهِ أَكْثَرُ اللُّغاتِ وَاللّهجات. وَهذا يَعْني أَنَّ الْمَرْحَلَةَ الأولى- الَّتي سَبَقَتْ كُلّاً مِنْ (هَلْ) وَالْهَمْزَة- كانَتْ فيها اللُّغَةُ

(١) هُوَ مَقْطَعٌ مُكَوَّنٌ مِنْ صَوْتَيْن: صَوْتِ الْهَمْزَةِ الْمَتْبوعَةِ بِالْفَتْحَةِ الطَّويلَة.

(٢) كَذا، وَلَعَلَّ الصَّوابَ: طَبْعاً.

(٣) محمَّد التّونجي، رَأْيٌ في جُذورِ الضَّمائِرِ الْعَرَبِيَّة: ص١٠٢. أَقولُ: مِنَ الْغَريبِ هَوْناً أَنَّ (التّونجي) أَوْرَدَ هذا النَّصَّ مُنَصَّصاً بَيْنَ هِلالَيْن، وَهذا قَدْ يَعْني أَنَّهُ نَقَلَهُ مِنْ غَيْرِهِ، ولكِنْ دونَ إِشارَة. وَجَديرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ لِـ(محمَّد محمَّد الْخَطّابي) مَقالاً مُقْتَضَباً أَلْمَحَ فيهِ إِلى أَنَّ (التّونجيّ) قَدِ اسْتَفادَ كَثيراً مِنْ كَلام (عَبْد الْحَقّ فاضِل) دونَ أَنْ يُشيرَ إِلَيْهِ مِنْ قَريبٍ أَوْ بَعيد (محمَّد محمَّد الخطابيّ، أَسْرارُ الضَّمائِرِ أَوْ رَأْيٌ في جُذورِ الضَّمائِرِ الْعَرَبِيَّة، مَجَلَّةُ اللِّسان الْعَرَبِيّ، المجلَّد١٣، ص١٠٥- ١٠٧).

تَعْتَمِدُ عَلى التَّنْغيمِ وَحْدَهُ في الإِفْصاحِ عَنِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ. فَإِذا قُلْنا بَعْدَ هذا إِنَّ اللغَةَ اسْتَحْدَثَتْ أَوَّلاً (**هَلْ**)، ثُمَّ طَوَّرَتْها أَوِ انْتَقَلَتْ مِنْها إِلى (**الهَمْزَة**)، عَنى ذلِكَ أَمْرَيْن: الأَوَّل- وَهُوَ مَذْكورٌ سالِفاً- أَنَّ اللُّغَةَ تَكونُ قَدْ فَرَّتْ مِنَ الصَّوْتِ الأَسْهَلِ الَّذي هُوَ (**الْهاء**)، إِلى الصَّوْتِ الأَصْعَبِ الَّذي هُوَ (**الْهَمْزَة**)، وَهذا مُسْتَبْعَدٌ لأَنَّهُ يُعاكِسُ مُتَّجَهَ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغاتِ الأُخْرى نَحْوَ التَّسْهيل. وَأَمّا الأَمْرُ الثّاني، فَهُوَ أَنَّ الْقَوْلَ بِاتِّجاهِ التَّطَوُّرِ الآتي:

اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِلا أَداةٍ - > اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِـ(**هَلْ**) - > اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِالهَمْزَةِ (**أَ...؟**)

(Ø) (ص ح ص) (ص ح)

يُظْهِرُ اللُّغَةَ في مَظْهَرٍ غَيْرِ تَدْريجِيٍّ لا يُناسِبُ التَّطَوُّرَ، أَوِ التَّغَيُّرَ اللُّغَوِيَّ الَّذي عَلَيْهِ أَمْرُ اللُّغات. فَلا يُسْتَحَبُّ الْقَوْلُ بِهِ، لأَجْلِ أَنَّهُ يَعْني أَنَّ العَرَبِيَّةَ لَمْ تَنْهَجْ في مَنْهَجِها التَّطَوُّرِيِّ مَنْهَجاً مُتَدَرِّجاً، فَكانَتْ- أَوَّلاً- بِلا أَداةِ اسْتِفْهامٍ تَصْديقِيّ، ثُمَّ اسْتَحْدَثَتْ- ثانِياً- أَداةً ذاتَ بِنْيَةٍ أَطْوَل (هَلْ)، ثُمَّ عادَتْ إِلى أَداةٍ ذاتِ بِنْيَةٍ أَقْصَر (أَ)!

الأَنْسَبُ أَنْ يُقالَ **بِالتَّطَوُّرِ المَلْموحِ فيهِ التَّدَرُّج**: مِنْ مَرْحَلَةِ اللّاأَداة اكْتِفاءً بِالتَّنْغيم، وَهِيَ الْمَرْحَلَةُ الأولى، إِلى مَرْحَلَةِ الأَداةِ الأَخْصَرِ ذاتِ الْمَقْطَعِ الْقَصير (أَ)، وَهِيَ الْمَرْحَلَةُ الثّانِيَة، إِلى مَرْحَلَةِ الأَداةِ الأَطْوَلِ نِسْبِيّاً ذاتِ الْمَقْطَعِ الْمُتَوَسِّط (هَلْ)، وَهذِهِ هِيَ الْمَرْحَلَةُ الثّالِثَة، هكَذا:

اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِلا أَداة - > اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِالهَمْزَة (**أَ...؟**) - > اِسْتِفْهام تَصْديقِيّ بِـ(**هَلْ**)

(Ø)　　(ص ح)　　(ص ح ص)

ثانياً: الْمُرَجِّحاتُ التَّرْكيبِيَّةُ الْجُمْلِيَّة

وَلَنا مِنْ مُرَجِّحاتٍ أُخْرى، تَرْتَدُّ كُلُّها إِلى طَبيعَةِ البِنْيَةِ التَّرْكيبِيَّةِ لِلْجُمْلَةِ التي تَلي الأَداتَيْنِ (**همزةَ الاسْتِفْهامِ**) وَ(**هَلْ**)، دَليلٌ عَلى ضَرورَةِ أَو وُجوبِ الْقَوْلِ بِأَنَّ (**همزةَ الاسْتِفْهامِ**) أَقْدَمُ مِنْ (**هَل**)، مِنْ ذلِك:

الْمُرَجِّح الخامس: تَرَدُّدُ (الْهَمْزَةِ) بَيْنَ نَوْعَيِ الاسْتِفْهام

مَعْلومٌ أَنَّ (**الهَمْزَةَ**) تَنْهَضُ بِنَوْعَيِ الاسْتِفْهامِ: (التَّصَوُّرِيِّ وَالتَّصْديقِيِّ)، وَأَمّا (**هَلْ**) فَلا تَقومُ إِلا بِالاسْتِفْهامِ (التَّصْديقِيِّ). فَلَوْ قُلْنا بِأَنَّ (**هَلْ**) أَقْدَمُ مِنَ (**الْهَمْزَة**)، وَهُوَ ما لا نَقولُ بِه، لكُنّا بَقَوْلِنا هذا ناسِبينَ العَجْزَ وَالقُصورَ لِلْعَرَبِيَّةِ، في بَعْضِ مَراحِلِها، بِشَكْلٍ غَيْرِ واعٍ، وَدونَ أَيِّ داعٍ. إِذْ يَعْني هذا الرَّأْيُ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ بَقِيَتْ، في مَرْحَلَةٍ قَديمَة، دونَ (الْهَمْزَةِ) رَدْحاً مِنَ الزَّمَن، وَهذا مَعْناهُ أَنَّ العَرَبِيَّةَ ظَلَّتْ مُدَّةً لا تَعْرِفُ (الاسْتِفْهامَ التَّصَوُّرِيَّ) الذي تُؤَدّيهِ الهَمْزَةُ وَلا تُؤَدّيهِ (هَلْ)، في مِثْلِ قَوْلِكَ: (أَهاشِمٌ أَنْتَ أَمْ وائِل؟). وَهذا غَريبٌ جِدّاً وَمُسْتَبْعَدٌ إِنْ أَحَدٌ قالَه، ذلِكَ أَنَّ حاجَةَ النّاطِقِ اللغَوِيِّ لِلاسْتِفْهامِ (التَّصَوُّرِيِّ) حاجَةٌ حَيَوِيَّةٌ يَوْمِيَّةٌ مُلِحَّة، إِذْ تَتَطَلَّبُهُ مَواقِفُ كَثيرَةٌ في حَياتِهِ العَمَلِيَّة.

الْمُرَجِّحُ السّادِس: دِلالَةُ (الْهَمْزَةِ) عَلى التَّصْديقِ السَّلْبِيّ

وَإِنْ أَنَعَمْنا النَّظَرَ في (التَّصْديقِ) نَفْسِه، وَجَدْنا فيهِ مُرَجِّحاً آخَرَ عَلى كَوْنِ (**هَمْزَةِ الاسْتِفْهام**) أَقْدَمَ ظُهوراً مِنْ (**هَلْ**). فَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ الهَمْزَةَ تُسْتَعْمَلُ في التَّصْديقِ الإيجابِيِّ (المُثْبَت)، وَالتَّصْديقِ السَّلْبِيِّ (المَنْفِيّ)، بَيْدَ أَنَّ (**هَلْ**) مَوْضوعَةٌ "لِطَلَبِ التَّصْديقِ الإيجابِيّ دونَ التَّصَوُّرِ، وَدونَ

التَّصْديقِ السَّلْبِيّ"[1]. مَعْنى هذا أَنَّ **(هَلْ)** مُخْتَصَّةٌ بِالإِثْباتِ، فَلا تَدْخُلُ عَلى النَّفْي. تَقول: (هَلْ وَصَلَ أَبوك؟)، وَيَمْتَنِعُ أَنْ تَقول: (❖هَلْ لَمْ يَصِلْ أَبوك؟)، بَيْنَما يَصِحُّ، في حالِ **(الهَمْزَة)**، القَوْلان: (أَوَصَلَ أَبوك؟)، وَ(أَلَمْ يَصِلْ أَبوك؟). فَإِذا سَلَّمْنا- جَدَلاً- بِظُهورِ **(هَلْ)** قَبْلَ **(هَمْزَةِ الاسْتِفْهام)**، وَهُوَ مُسْتَبْعَد، كانَ ذلِكَ بِمَثابَةِ التّسْليمِ بِعَدَمِ مَعْرِفَةِ العَرَبِيَّةِ لِلتَّصْديقِ السَّلْبِيِّ في إِحْدى مَراحِلِها اللُّغَوِيَّةِ القَديمَة، أَيْ قَبْلَ ظُهورِ الهَمْزَةِ حَسْبَ هذا الفَرض، وَهُوَ مِمّا لا داعِيَ يَسْتَدْعيه، وَلا حاجَةَ تُمْليه.

الْمُرَجِّحُ السّابِع: دِلالَةُ (الْهَمْزَةِ) عَلى الْحالِ وَالاسْتِقْبال:

وَمِنَ المَعْروفِ أَنَّ **(هَلْ) تُخَصِّصُ الفِعْلَ المُضارِعَ لِلاسْتِقْبال**، فَتَقول: (هَلْ تُسافِر؟)، أَيْ: مُسْتَقْبَلاً، وَيمتنعُ أَنْ تَقول: **(❖هَلْ يَقْرَأُ الآنَ؟)**، وَ**(❖هَلْ تَظُنُّهُ قائِماً؟)**، بِخِلافِ الهَمْزَةِ، فَإِنَّها تَكونُ لِلْحالِ وَالاسْتِقْبال. تَقولُ: (أَيَكْتُبُ الآنَ؟)، وَ(أَتَظُنُّهُ قائِماً؟)، وَ(أَيُسافِرُ غَداً؟)[2]. قالَ سيبَوَيْه- رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه- : "(هَلْ) لَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ أَلِفِ الاسْتِفْهام،

---

(١) ابن هشام الأنصاريّ، مُغْني اللبيب عن كتب الأَعاريب: ٣٢٤/٤. وَانْظُر: فاضل صالح السّامرّائيّ، مَعاني النَّحْو: ٢٠٧/٤. عَلى أَنَّ (سَمير استيتيَّة) يَرى أَنَّ همزةَ الاستفهام وَ(هَلْ) "تَجيئانِ لِلتَّصْديقِ وَالتّصَوُّر، مَعَ فارِقٍ واحِد، وَهُوَ أَنَّ الهمزةَ تُسْتَعْمَلُ في التَّصْديقِ الإيجابِيّ (المُثْبَت)، وَالتَّصْديقِ السَّلْبِيّ (المَنْفِيّ)" (سمير شريف ستيتيَّة، الشرط والاستفهام في الأساليب العربيَّة: ط١، ص١٠٠، دار القلم لِلنَّشر والتَّوزيع، دبيّ- الإمارات العربيَّة المتَّحدة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).

(٢) انظر: فاضل صالح السّامرّائيّ، معاني النَّحو: ٢٠٧/٤.

لأَنَّكَ إذا قُلْتَ: (هَلْ تَضْرِبُ زَيْداً؟)، فَلا يَكونُ أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّ الضَّرْبَ واقِع، وَقَد تَقولُ: (أَتَضْرِبُ زَيْداً؟) وَأَنْتَ تَدَّعي أَنَّ الضَّرْبَ واقِع"[1].

وَلا يَخْفى مِنْ بَعْدُ، أَنَّ القَوْلَ بِقِدَمِ (هَلْ) في هذا المَوْضِعِ، يَنْطَوي- تارَةً أُخْرى- عَلى اتِّهامٍ مفادُهُ أَنَّ العربيَّةَ قَدْ أَتى عَلَيْها حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ فيهِ **السُّؤالَ عَنِ الحاضِرِ** سُؤالاً تَصْديقِيّاً، وَأَنَّها كانَتْ- في مَراحِلَ خَلَتْ- تُوَظِّفُ الاسْتِفْهامَ التَّصْديقِيَّ-بِاسْتِخْدامِ (هَلْ)- للسُّؤالِ عَنِ المُسْتَقْبَلِ دونَ الحاضِرِ! وَفي هذا مَدْعاةٌ لأَشَدِّ العجَبِ إِنْ قائِلٌ قالَه! **إِذْ كَيْفَ يَتَجاوَزُ النّاطِقُ اللغَوِيُّ-في أَيِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْمَراحِلِ- التَّعْبيرَ بِاللغَةِ عَنِ الحاضِرِ الذي يُدْرِكُهُ وَيَعيشُهُ وَيُحايثُه، إِلى التَّعْبيرِ عَنِ المُسْتَقْبَلِ الذي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَعِشْهُ وَلَمْ يُدْرِكْه بَعْد؟!**

الْمُرَجِّحُ الثّامِن: دُخولُ (الْهَمْزَةِ) عَلى الشَّرْطِ، وَعلى (إِنَّ)، وَعَلى الْفِعْل

يَنْضافُ إِلى ما سَبَقَ أَنَّ (**هَل**) "لا تَدْخُلُ عَلى الشَّرْط، وَلا عَلى (إِنَّ)، وَلا عَلى اسْمٍ بَعْدَهُ فِعْلٌ في الاخْتِيار، بِخِلافِ الهَمْزَة"[2]. فَلا يُقال: (❖هَلْ إِنْ سافَرَ سافَرْتَ مَعَه؟)، (❖هَلْ إِنَّهُ شاعِر؟)، (❖هَلْ خالِدٌ رَجَع؟)[3]. وَإِنَّ القَوْلَ بِأَسْبَقِيَّةِ ظُهورِ (**هَلْ**) يَعْني- مَرَّةً أُخْرى- عَدَمَ مَعْرِفَةِ العَرَبِيَّةِ لِهذِهِ التَّراكيب، وَذلِكَ في المَرْحَلَةِ التي تَسْبِقُ ظُهورَ الهَمْزَة، وَهذا خِلافُ الأَوْلى. بَيْنَما لَوْ قُلْنا بِالرَّأْيِ الآخَر، وَهُوَ اسْتِحْداثُ العَرَبِيَّةِ (**الْهَمْزَةَ**) قَبْلَ (**هَلْ**)، لَكانَتِ التَّراكيبُ نَفْسُها مُجَوَّزَةً مِنْ قَديم، وَامْتَنَعَ

(١) سيبويْه، الكِتاب: ٣/١٧٥ – ١٧٦.

(٢) ابن هشام الأنصاريّ، مُغْني اللبيب عن كتب الأَعاريب: ٤/٣٢٨.

(٣) انْظُر: فاضل صالح السّامرّائِيّ، مَعاني النَّحْو: ٤/٢٠٨.

القَـوْلُ بِـالعَجْزِ وَالْقُـصور، فَيَكـونُ صَـواباً القَـوْلُ: (أَإِنْ سـافَرَ سـافَرْتَ مَعَـه؟)، (أَإِنَّـهُ شـاعِر؟)، (أَخالِـدٌ رَجَـع؟). وَإِذا كـانَ مِـنَ الْمَقْبـولِ الْقَـوْلُ بِعَدَمِ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلاسْتِفْهامِ الْمَقْرونِ بِالشَّرْطِ، أَوِ الـدّاخِلِ عَلى (إِنَّ)، فِي بَعْضِ مَراحِلِ تَطَوُّرِها الْقَديمَة، فَمِنْ غَيْرِ الْمَقْبولِ الْقَـوْلُ بِعَـدَمِ مَعْرِفَتِها بِنْيَةَ الاسْتِفْهامِ الْمُشْتَمِلَةَ عَلى فِعْل! خاصَّةً أَنَّهُ مَحْكـومٌ- بِأَدِلَّـةٍ كَثيرَةٍ- عَلى التَّرْكيبِ الأَخيرِ الَّذي يَسْبِقُ فيهِ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْمُسْنَدَ (أَخالِدٌ رَجَع؟)، بِأَنَّـهُ أَقْـدَمُ مِـنَ الآخَـرِ الَّـذي يَـسْبِقُ فيـهِ الْمُـسْنَدُ الْمُـسْنَدَ إِلَيْـه: (هَـلْ رَجَـعَ خالِد؟)[1].

ثالِثاً: مُرَجِّحاتٌ نَصِّيَّة:

الْمُرَجِّحُ التّاسِع (الأَخير)

لَعَلَّ مِنَ الـصَّحيح أَنَّ "الاسْـتِفْهامَ أَمْـرٌ جُبِـلَ عَلَيْـهِ الإِنْـسانُ مُنْـذُ النَّـشْأَةِ الأولى لِلُّغَـةِ البَـشَرِيَّة، فَكُـلّ مـا[2] غمـضَ عَلَيْـهِ أَمْـر، أَوْ جَهِلَـه، لَجَـأَ إِلى الاسْتِفْسارِ عَنْه، وَطَلَبَ مَعْرِفَةَ حَقيقَتِـه"[3]، وَلَعَـلَّ مِـنَ الـصَّحيح أَيْـضاً أَنَّ "الْحَديث عَنِ الْبِدايَـةِ التّاريخِيَّـةِ لاسْـتِعْمالِ الاسْـتِفْهامِ يَأْخُـذُنا إِلى الْحَـديثِ عَـنْ بِدايَـةِ اللُّغَـة، لأَنَّ بِدايَـةَ اسْـتِعْمالِ الاسْـتِفْهامِ مَقْـرونٌ بِبِدايَـةِ اللُّغَـةِ

(١) أُنْظُر بَحْثاً عُنْوانُهُ: (الْبِنْيَةُ الْعَميقَةُ فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي الْعَرَبِيَّة: فِعْل – فاعِل – مَفْعول أَم فاعِـل – فِعْـل – مَفْعـول؟) ضِـمْنَ: داود عَبْـده، أَبْحـاثٌ فِي الْكَلِمَـةِ وَالْجُمْلَـة، ط١، ص١٠٣- ١٢٧، دار الكرمل لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، عَمّان- الأُرْدُنّ، د.ت.

(٢) هكذا في الأَصْل، وَقَدْ يَكونُ الصَّوابُ: (فَكُلَّما).

(٣) حامِد الشنبري، الاستفهام في العربيَّة وَالعبريَّة: دراسة لغويَّة مُقارِنَة: ص٦٩٧، مجلَّة كلِّيَّة دار العُلوم، القاهِرَة، العدد ٣٢، ٢٠٠٤.

الْبَشَرِيَّة. وَنَذْهَبُ أَبْعَدَ مِنْ ذلِكَ لِنَقولَ: لَقَدْ وَرَدَ اسْتِعْمالُ الاسْتِفْهامِ في الْكَلامِ الرَّبّانِيّ مُنْذُ أَنْ خُلِقَ الإِنْسانُ وَفي بِدايَةِ خَلْقِه..."[1].

وَمِمّا قَدْ يُشيرُ إِلى أَنَّ (هَمْزَةَ الاسْتِفْهامِ) أَقْدَمُ مِنْ (هَلْ)، أَنَّ نُصوصَ الْقُرْآنِ الْكَريمِ الَّتي تُمَثِّلُ أَوَّلِيَّةَ الْخَلْقِ، أَوِ النَّشْأَةَ الأولى لِلإِنْسان، جاءَتِ الْهَمْزَةُ فيها مُتَساوِقَةً مَعَ الْحَدَثِ الأَقْدَم. صَحيحٌ أَنَّ هذا- عِنْدَ بَعْضِ الدّارِسينَ- لَيْسَ بِدَليلٍ مِنْ داخِلِ "الْمَنْظومَةِ اللُّغَوِيَّةِ" نَفْسِها، لكِنْ صَحيحٌ أَيْضاً أَنَّنا لا نَسْتَطيعُ الْمُرورَ عَلى نُصوصٍ لُغَوِيَّةٍ إِلهِيَّةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ بِدايَةِ الْخَلْقِ، وَتَشْتَمِلُ عَلى بِنىً اسْتِفْهامِيَّة، دونَ أَن نَسْتَقِيَ مِنْها أَيَّ دِلالَة. أَلَيْسَ مِنْ حَقِّ الْباحِثِ عَنْ أَوَّلِيَّةِ الاسْتِفْهامِ في اللُّغَةِ أَنْ يَسْأَلَ: لِمَ تَخَيَّرَ رَبُّنا (هَمْزَةَ الاسْتِفْهامِ) في هذِهِ الْمَواقِفِ الْموغِلَةِ في الْقِدَمِ الَّتي تُعَبِّرُ عَنْ بِدايَةِ الاتِّصالِ اللُّغَوِيِّ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يُمْكِنُ لَهُ- جَلَّ رَبّاً مَعْبوداً- أَنْ يَخْتارَ (هَلْ)؟! أَلَيْسَ يَحِقُّ لَنا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هذا بِأَنَّ في هذا إِشارَةً إِلى أَوَّلِيَّةِ (هَمْزَةِ الاسْتِفْهام) مُقارَنَةً بِأَخَواتِها الأُخْرى مِنْ أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ وَمِنْها (هَل)؟

فَقَدْ وَرَدَ اسْتِعْمالُ الاسْتِفْهامِ بِالْهَمْزَةِ مِنْ قَديمٍ، عَلى لِسانِ الْحَقِّ مَوْلانا- جَلَّ وَعَلا- ، حينَما أَخَذَ عَلى بَني آدَمَ الْميثاقَ وَهُمْ في ظُهورِ آبائِهِمْ في صورَةِ الذَّرّ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ **أَلَسْتُ** بِرَبِّكُمْ قالوا بَلى

(١) شاكر محمود إسماعيل العبيدي، الاسْتِفْهام في عِبْرِيَّةِ التَّوْراة: أَدَواتُه وَأَساليبه، ص٢٩، إِشْراف: صبيح مدلول السّهيري، أُطْروحَةُ ماجِسْتير، قِسْم اللّغةِ الْعِبْرِيَّة، كُلِّيَّة اللّغات، جامِعَة بَغْداد، جُمْهورِيَّةُ الْعِراق، صَفَر ١٤٢١هـ- أَيّار ٢٠٠٠م.

شَـهِدْنا أَنْ تَقولـوا يَـوْمَ الْقِيامَـةِ إِنّـا كُنّـا عَـنْ هـذا غـافِلِين﴾ (الأَعْـراف٧: ١٧٢).

كَمـا جـاءَتِ الْهَمْـزَةُ، مِـنْ بَعْـدُ، عَلـى لِـسانِ الْمَلائِكَـةِ- عَلَـيْهِمُ السَّلامُ- ، قَبْـلَ خَلْـقِ آدَم، رَدّاً عَلى إِخْبـارِ اللهِ- سُـبْحانَهُ- لَهُـمْ بِأَنَّـهُ سَـيَجْعَلُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـة. قـالَ مَوْلانـا- تَبـارَكَ اسْـمُه- : ﴿ وَإِذْ قـالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً قـالوا **أَتَجْعَـلُ** فيهـا مَـنْ يُفْـسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (الْبَقَـرَة٢ : ٣٠). وَلكِنّنا، فِي الْمُقابِلِ، نَجِـدُ الأَداةَ الأُخْـرى (**هَـلْ**) ماثِلَـةً وَلكِـنْ فِي نُـصوصٍ تُمَثِّـلُ مَرْحَلَـةً تالِيَـة، وَذلِـكَ فِي حِـوارِ إِبْلِـيسَ الـرَّجيمِ مَـعَ (آدَم)- عَلَيْـهِ السَّلام- : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الـشَّيْطانُ قـالَ يـا آدَمُ **هَـلْ** أَدُلُّـكَ عَلـى شَـجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى﴾ (طه٢٠: ١٢٠).

* * *

المَبْحَثُ الثّاني: دَواعي اسْتِحْداث (هَلْ)

الدّاعي الأَوَّل: تَجاوُزُ الصُّعوبَة:

مِنَ الْبَدَهِيِّ، بَعْدَ تَرْجيحِ أَوَّلِيَّةِ ظُهورِ الْهَمْزَةِ عَلى (هَل)، أَنْ يُسْأَلَ عَنِ السَّبَبِ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ اسْتَحْدَثَتِ اللُّغَةُ (هَلْ) بَعْدَ (الْهَمْزَة)! أَرى أَنَّ الدّاعِيَ إِلى اسْتِحْداثِ (هَلْ)، وَعَدَمِ الاكْتِفاءِ بِالْهَمْزَةِ، لَعَلَّهُ يَرْجِعُ- في الْمَقامِ الأَوَّل- إِلى ما تَقَرَّرَ مِنْ صُعوبَةِ نُطْقِ الْهَمْزَة، وَوُجودِ تَوَجُّهٍ عامٍّ قَديمٍ لَدى جَمْهَرَةِ النّاطِقينَ بِالعَرَبِيَّةِ نَحْوَ التَّخَلُّصِ مِنْ صَوْتِ الهَمْزَةِ بِإِسْقاطِهِ أَوْ إِبْدالِه.

فَقَدْ أَقَرَّ كَثيرٌ مِنَ الْعُلَماءِ وَالْباحِثينَ، الْقُدامى وَالْمُحْدَثين، بِأَنَّ هُناكَ صُعوبَةً في إِنْتاجِ صَوْتِ الْهَمْزَة، فَالْهَمْزَةُ صَوْتٌ لَهُ فَرادَةٌ مِنْ عِدَّةِ جِهات، مِنْها فَرادَةُ الْمَخْرَج، وَ"صُعوبَةُ الإِنْتاج"، وَكَثْرَةُ ما يَعْتَريهِ مِنْ تَغْييراتٍ صَوْتِيَّة. قالَ (مَكّيّ بنُ أَبي طالِب) (٤٣٧هـ)- مَثَلاً- : "**الْهَمْزَة عَلى انْفِرادِها حَرْفٌ بَعيدُ الْمَخْرَج، جَلْدٌ صَعْبٌ عَلى اللّافِظِ بِه، بِخِلافِ سائِرِ الْحُروف**، مَعَ ما فيها مِنَ الْجَهْرِ وَالْقُوَّة، **وَلِذلِكَ اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ في الْهَمْزَةِ الْمُفْرَدَةِ ما لَمْ تَسْتَعْمِلْهُ في غَيْرِها مِنَ الْحُروف**، فَقَدِ اسْتَعْمَلوا فيها: التَّحْقيق، وَالتَّخْفيف، وَإِلْقاءَ حَرَكَتِها عَلى ما قَبْلَها، وَإِبْدالَها بِغَيْرِها مِنَ الْحُروف، وَحَذْفَها في مَواضِعِها، **وَذلِكَ كُلُّهُ لاسْتِثْقالِهِمْ لَها، وَلَمْ يَسْتَعْمِلوا ذلِكَ في شَيْءٍ مِنَ الْحُروفِ غَيْرِها**، فَإِذا انْضافَ إِلى ذلِكَ تَكْريرُها كانَ أَثْقَلَ كَثيراً عَلَيْهِمْ، فَاسْتَعْمَلوا في تَكْريرِ الْهَمْزَةِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ التَّخْفيفَ لِلأولى، وَالتَّخْفيفَ لِلثّانِيَة، وَالْحَذْفَ لِلثّانِيَة، وَالْحَذْفَ

للأولى، وَبَعْضُهُمْ يُحَقِّقُهُما جَميعاً، إِذِ الأولى كَالْمُنْفَصِلَةِ مِنَ الثّانِيَة، إِذْ هِيَ مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرى"[1].

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ "اسْتِثْقالِ" الْهَمْزَةَ، بَلْ تَعَدّاهُ إِلى "النُّفورِ وَالاشْمِئْزازِ" مِنْها! فَقَدْ وَصَفَها (سيبَوَيْهِ) بِأَنَّها "نَبْرَةٌ في الصَّدْرِ تَخْرُجُ بِاجْتِهاد"، وَبِأَنَّها "كَالتَّهَوُّعِ" الَّذي هُوَ التَّقَيُّؤ! قال: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ إِنَّما فَعَلَ بِها هذا مَن لَمْ يُخَفِّفْها، لأَنَّهُ **بَعُدَ مَخْرَجُها، وَلأَنَّها نَبْرَةٌ في الصَّدْرِ تُخْرَجُ بِاجْتِهاد، وَهِيَ أَبْعَدُ الْحُروفِ مَخْرَجاً، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ ذلِكَ، لأَنَّهُ كَالتَّهَوُّع**"[2][3]. وَلَيْسَ غَريباً، بَعْدُ، أَن نَجِدَ مَنْ "يَسْتَنْكِرُ" سَماعَ الْهَمْزَةِ في الْمَسْجِد، وَكَأَنَّ الْهامِزَ (أَوِ النّابِرَ) أَتى بِكَبيرَةٍ مِنَ الْكَبائِرِ في مَسْجِدِ اللهِ! جاءَ في (لِسان الْعَرَب): "وَالنَّبْرُ: هَمْزُ الْحَرْف، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشٌ تَهْمِزُ في كَلامِها. وَلَمَّا حَجَّ المهديُّ قَدَّمَ الكسائِيَّ يُصَلّي بالمدينة **فَهَمَز، فأَنْكَرَ أهلُ المدينةِ عَلَيْه، وَقالوا: تَنْبِرُ في مَسْجِدِ رَسولِ اللهِ- صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالقُرْآن؟** المنْبور: الْمَهْموز، وَالنَّبْرَةُ: الْهَمْزَة"[4].

وَقَريبٌ مِنْهُ ما عَبَّرَ بِهِ (أَبو بَكْرٍ شُعْبَةُ بْنُ عَيّاش) (١٩٣هـ)، عَنْ شِدَّةِ تَأَدّيهِ مِنْ عَدَمِ تَسْهيلِ الْهَمْزَةِ في قِراءَةِ الْقُرْآنِ الْكَريم، وَذلِكَ في قَوْلِه:

---

(١) مكّيّ بن أبي طالِب، أَبو مُحَمَّد الْقَيْسِيّ، الْكَشْفُ عَنْ وُجوهِ الْقِراءاتِ السَّبْع وَعِلَلِها وَحُجَجِها، تَحْقيق: مُحْيي الدّين رَمَضان، ط٣، ٧٢/١، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالَة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢) "هاعَ وَيَهوعُ وَيَهاعُ هَوْعاً وَهُواعاً: تَهَوَّعَ وَقاءَ، وَقيلَ: قاءَ بِلا كُلْفَة، وَإِذا تَكَلَّفَ ذلِكَ قيلَ: تَهَوَّع، ... وَالتَّهَوُّع: التَّقَيُّؤ" (ابن مَنْظور، لِسانُ الْعَرَب: هوع).

(٣) سيبَوَيْه، الْكِتاب: ٥٤٨/٣.

(٤) ابن مَنْظور، لِسانُ الْعَرَب: (نبر).

"كانَ إمامُنا يَهْمِزُ (مُؤْصَدَة) فَأَشْتَهي أَنْ أَسُدَّ أُذُنَيَّ إذا سَمِعْتُهُ يَهْمِزُها"[1].
وَقالَ (ابْنُ يَعيش) (٦٤٣هـ): "**اِعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ حَرْفٌ شَديدٌ مُسْتَثْقَلٌ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصى الْحَلْق، إِذْ كانَ أَدْخَلَ الْحُروفِ في الْحَلْق، فَاسْتُثْقِلَ النُّطْقُ بِه، إِذْ كانَ إِخْراجُهُ كَالتَّهَوُّع**، فَلِذلِكَ مِنَ الاسْتِثْقالِ ساغَ فيها التَّخْفيف، وَهُوَ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَأَكْثَر أَهْلِ الْحِجاز. وَهُوَ نَوْعُ اسْتِحْسانٍ لِثِقَلِ الْهَمْزَةِ"[2]. وَقالَ (الرَّضِيّ) (٦٨٨هـ): "**اِعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمّا كانَتْ أَدْخَلَ الْحُروفِ في الْحَلْقِ، وَلَها نَبْرَةٌ كَريهَة تَجْري مجْرى التَّهَوُّع، ثَقُلَتْ بِذلِكَ عَلى لِسانِ الْمُتَلَفِّظِ بِها**، فَخَفَّفَها قَوْمٌ، وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِجازِ، وَلاسِيَّما قُرَيْش. رُوِيَ عَنْ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ- رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ- : نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسانِ قُرَيْش، وَلَيْسوا بِأَصْحابِ نَبْر، وَلَوْلا أَنَّ جِبْرائيلَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- نَزَلَ بِالْهَمْزِ عَلى النَّبِيِّ- صَلّى اللهُ تَعالى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما هَمَزْنا، وَحَقَّقَها غَيْرُهُمْ، وَالتَّحْقيقُ هُوَ الأَصْلُ كَسائِرِ الْحُروف، وَالتَّخْفيفُ اسْتِحْسان"[3].

---

(١) مَكّيّ بْنُ أَبي طالِب، أبو محمَّد القيسِيّ، الرِّعايَة لِتَجْويدِ الْقِراءَة وَتَحْقيق لفظ التِّلاوة، تحقيق: أحمد حَسَن فرحات، ط٣، ص١٤٦- ١٤٧، دار عَمّار، الأُرْدُنّ- عَمّان، ١٤١٧ه- ١٩٩٦م. وَانْظُرْ: إِسْماعيل أَحْمَد عَمايرة، بُحوثٌ في الاسْتِشْراقِ وَاللُّغَة: ص٢٠٦.

(٢) ابن يعيش، شرح المُفَصَّلِ لِلزَّمخشريّ: ٢٦٥/٥.

(٣) رَضِيّ الدّين، مُحَمَّد بْنُ الْحَسَنِ الأَستراباذِيّ، شَرْحُ شافِيَةِ ابْنِ الْحاجِب مَعَ شَرْحِ شَواهِدِه، تَحْقيق: محمَّد نور الحسن وَمحمَّد الزَّفْزاف وَمحمَّد مُحْيي الدّين عَبْد الْحَميد، ٣١/٣- ٣٢، دار الكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْروت، لُبْنان، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.

وَمِنْ أَجْلِ ذلِكَ كُلِّهِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ عَمَلِيَّةَ إِنْتاجِ الْهَمْزَةِ، بِما تَتَضَمَّنُهُ مِنْ **"انْحِباس الْهَواءِ عِنْدَ الْمِزْمارِ انْحِباساً تامّاً ثُمَّ انْفِراج المِزْمارِ فجْأَةً، عَمَلِيَّةٌ تَحْتاجُ إِلى جهْدٍ عَضَلِيٍّ قَدْ يَزيدُ عَلى ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ أَيُّ صَوْتٍ آخَر، مِمّا يَجْعَلُنا نَعُدُّ الْهَمْزَةَ أَشَدَّ الأَصْوات**، وَمِمّا جَعَلَ لِلْهَمْزَةِ أَحْكاماً مُخْتَلِفَةً في كُتُبِ الْقِراءات"[1]. فَلا تُعَدُّ الْهَمْزَةُ مِنْ أَصْعَبِ الأَصْواتِ فَحَسْب، بَلْ "تُعَدُّ أَصْعَبَ الأَصْواتِ إِخْراجاً، وَأَكْثَرَها إِجْهاداً"[2].

وَمِنْ أَجْلِ ذلِكَ كانَ- وَلا يَزالُ- هُناكَ مَيْلٌ واضِحٌ كَبيرٌ في الْعَرَبِيَّةِ، قَديماً وَحَديثاً، نَحْوَ التَّخَلُّصِ مِنَ الْهَمْزَةِ "تَسْهيلاً" أَوْ حَذْفاً أَوْ إِبْدالاً[3]. وَقَدْ أَشارَ (وليام رايت W. Wright) إِلى أَنَّ الْهَمْزَتَيْنِ الوسطِيَّةَ، وَالْمُتَطَرِّفَة، قَدِ اخْتَفَتا تَماماً مِنَ اللّهجاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَحْكِيَّةِ الْيَوْم[4]، وَلَعَلَّ هذا جَعَلَهُ يَذْهَبُ إِلى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْهَمْزَةَ هِيَ أَضْعَفُ صَوْتٍ مِنْ مَجْموعَةِ "الأَصْواتِ الْحَلْقِيَّة" في اللُّغاتِ الجزرِيَّة، وَهِيَ مَجْموعَةُ

(١) إِبْراهيم أَنيس، الأَصْواتُ اللُّغَوِيَّة، ص٧٧، مَكْتَبَةُ نَهْضَة مِصْر وَمطبعتها، د.ت.

(٢) فَوْزي حَسَن الشّايب، ضَمائِرُ الْغَيْبَةِ: أُصولُها وَتَطَوُّرُها، ص٢١.

(٣) أَوْ- كَما قالَ (ابْنُ يَعيش): "وَتَخْفيفُها- كَما ذُكِرَ- بِالإِبْدالِ وَالْحَذْفِ، وَأَنْ تُجْعَلَ بَيْنَ بَيْن" (ابن يعيش، شرح المُفَصَّلِ لِلزَّمخشريّ: ٢٦٥/٥. وَانْظُرْ: إِبْراهيم أَنيس، الأَصْواتُ اللُّغَوِيَّة: ص٧٩).

(٤) أُنْظُر:

W. Wright, A Grammar of The Arabic Language, ٣rd Edition, Cambridge University Press, Cambridge, Vol.١: ١٨٩٦, Vol.٢: ١٨٩٨.

الأَصْواتِ الَّتي تَضُمُّ (الْهَمْزَةَ، وَالْهاء، وَالْعَيْنَ، وَالْغَيْن، وَالْحاء، وَالْخاء)[1].

وَقَدْ ذَهَبَ (رابين) إِلى أَنَّ مِنْ أَشْهَرِ ما عُرِفَ عَنْ لَهْجَةِ الْحِجازِ تَسْهيلَ الْهَمْزِ فيها، وَأَقَرَّ بِأَنَّ صَوْتَ الْهَمْزَةِ شَغَلَ قَدْراً كَبيراً مِنِ اهْتِمامِ اللُّغَوِيّينَ نَظَراً لأَنَّ الْهَمْزَةَ "مَسْؤولَةٌ عَنِ الصُّعوباتِ الْحَقيقِيَّةِ وَالْوَحيدَةِ في كِتابَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنُطْقِها"[2]. وَأَكَّدَ أَنَّ هُناكَ نَزْعَةً لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْهَمْزَةِ في جَميعِ اللّهجاتِ (الجزريَّة)، وَلَمْ يَتِمَّ التَّخَلُّصُ مِنْها تَماماً إِلّا في الآراميَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ الْغَرْبِيَّة[3]. كَما أَشارَ (كارل بروكلمان) إِلى أَنَّ الْهَمْزَةَ الْمُحَقَّقَةَ بَعْدَ حَرَكَة، الَّتي تَأْتي بِوَصْفِها أَصْلاً مِنْ أُصولِ الْكَلِمَةِ الثُّلاثِيَّة، مِثْل: (رَأْس) وَ(بِئْر) وَ(يَأْكُل)، تُتْرَكُ أَوْ تُسْقَطُ دائِماً في البابِلِيَّةِ- الآشوريَّة، وَيُعَوَّضُ عَنْها بِمَدِّ الْحَرَكَةِ قَبْلَها، وَالشَّيْءُ نَفْسُهُ ماثِلٌ في الْحَبَشِيَّةِ، وَالآراميَّةِ، وَعَرَبِيَّةِ الْحِجازِ الْقَديمَة، وَاللَّهجاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْعامِّيَّةِ بَعْدَ

(١) انظر:
William Wright, Lectures on The Comparative Grammar of The Semitic Languages, p.p. ٤٢-٤٣, Cambridge University Press Warehouse, ١٨٩٠.

(٢) تشيم رابين، اللّهجات العربيَّة الْقَديمَةُ في غَرْبِ الْجَزيرَةِ الْعَرَبِيَّة، تَرْجَمَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه: عبد الكريم مُجاهِد، ط١، ص٢٥٣، الْمُؤَسَّسَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلدِّراساتِ وَالنَّشْر، بَيْروت، ٢٠٠٢.

(٣) السّابق: ص٢٥٤.

ذلِـك[1]. وَذَكَـرَ (داود عبـده) أَنَّ سُـقوطَ الْهَمْـزَةِ ظـاهِرَةٌ عامَّـةٌ في اللُّغَـةِ الْعَرَبِيَّة[2].

وَقَـدْ أَرْجَـعَ (برجـشتراسر) هـذِهِ الظّـاهِرَةَ إِلى (الـسّامِيَّة الأُمّ)، قـال: "كَثيراً مـا يُحْذَفُ الهَمْـزُ بِالإِبْدالِ واواً أَوْ يـاءً، أَوْ بِغَيْـرِ عِـوَض. وَأَقْدَمُ مـا حَـدَثَ في ذلِـك في اللُّغَـةِ الـسّامِيَّةِ الأُمّ، قَبْـلَ أَنْ تَفْتَـرِقَ الأَقـوامُ النّـاطِقونَ بِها"[3]. وَمِـنْ أَقْـدَمِ الظَّـواهِرِ اللُّغَوِيَّـةِ الَّـتي نَتَجَـتْ عَـنْ صُـعوبَةِ الهَمْـزَة، مـا أَشـارَ إِلَيْـهِ (برجـشتراسر) في قَوْلِـهِ: "وَالْقـانونُ الـصَّوْتِيُّ لِهـذا الْحَـذْفِ الأَقْـدَم، هُـوَ أَنَّـهُ إِذا تَـوالى هَمْزَتـان، أولاهُمـا في أَوَّلِ مَقْطَـع، وَالثّانِيَـةُ في آخِرِه، حُذِفَتِ الثّانِيَةُ، وَمُدَّتِ الْحَرَكَةُ قَبْلَها، مِثالُ ذلِـك: (آوِ)، أَصْلُها: (أَأْوِ). (أَأْ) مَقْطَـعٌ أَوَّلُـهُ هَمْـزَة، وَآخِـرُهُ هَمْـزَة..."[4]. وَمِنْـهُ أَنَّـهُ "إِذا وَقَعَـتْ هَمْزَتـانِ في أَوَّلِ مَقْطَعَـيْنِ مُتَتـالِيَيْن، خُفِّفَـتِ الثّانِيَـة"، مِنْهـا صيغَةُ الْمُتَكَلِّمِ الْمُفْرَدِ مِنْ مُضارِعِ الأَفْعالِ الرُّباعِيَّة، "فَإِنَّها: أُفْعِلُ، وَأَصْلُها: أُأَفْعِـلُ، ... فَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ الثّانِيَـةُ، مَـعَ حَرَكَتِهـا. وَعَلـى قِيـاسِ هـذِهِ الـصّيغَة، حُـذِفَ

(١) كارل بروكلمان، فِقْهُ اللُّغاتِ السّامِيَّة: ص٤١.

(٢) داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل": ص١٢١. وَذَهَـبَ إِلى الشَّيْءِ نَفْسِهِ (أَبو أَوْس إِبْراهيم الشَّمْسان) في (الإِبْدال إِلى الْهَمْزَةِ وَأَحْرُفِ الْعِلَّةِ في ضَوْءِ كِتابِ سِرّ صِناعَةِ الإِعْراب لابْـنِ جِنّـيّ، ص٢٩، حَوْلِيّـات الآداب وَالْعُلـومِ الاجْتِماعِيَّـة، الرِّسـالَة ١٨٦، الْحَوْلِيَّة الثّانِيَةُ وَالْعِشْرون، ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ/٢٠٠١- ٢٠٠٢م، مَجْلِسُ النَّشْرِ الْعِلْمِيّ، جامِعَةُ الْكُوَيْت).

(٣) برجشتراسر، التَّطَوُّرُ النَّحْوِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّة: ص٣٩.

(٤) السّابِق نَفْسه.

الهَمْزُ في سائِرِ الصِّيَغِ أَيْضاً، فَقالوا: يُفْعِلُ، بَدَلَ: يُؤَفْعِلُ... إلخ"[1]، وَكَذلِكَ (أَرى) بَدَلَ: (أَرْأى)، و"مِنْ (أَرى) سَرى الْحَذْفُ إِلى يَرى وَإِلى يُري إلخ"[2].

إِنَّ هذِهِ الصُّعوبَةَ الْمُقَرَّرَةَ لِصَوْتِ الْهَمْزَةِ، وَهذا النُّفورَ الْمُعْلَنَ مِنْهُ، يَدْعُوانِ- مَرَّةً أُخْرى- إِلى الْقَوْل: إِنَّ الأَوْلى أَنْ تَكونَ أَداةُ الاسْتِفْهامِ الَّتي بِالْهَمْزَةِ (**أَ...؟**)، أَقْدَمَ مِنْ رَديفَتِها الأُخْرى الَّتي بِالْهاء (**هَلْ...؟**)، بِمَعْنى أَنَّ الْقَوْلَ بِتَحْويلِ الْعَرَبِيَّةِ (**الْهَمْزَةَ**) إِلى (**هاء**)، أَوْ بِتَحَوُّلِها مِنَ (**الْهَمْزَةِ**) إِلى (**الْهاء**) في أَداةِ الاسْتِفْهامِ التَّصْديقِيّ، يَنْسَجِمُ تَمامَ الانْسِجامِ مَعَ مَسْعى الْعَرَبِيَّةِ وَلَهجاتِها وَأَخَواتِها، نَحْوَ التَّخَلُّصِ مِنَ (**الْهَمْزَةِ**) بِإِسْقاطِها، أَوْ تَحْويلِها إِلى صَوْتٍ آخَرَ يَشْتَرِكُ مَعَ الْهَمْزَةِ في بَعْضِ السِّماتِ الصَّوْتِيَّة. ذلِكَ أَنَّ اللُّغاتِ عامَّةً تَتَطَوَّرُ- في ما هُوَ مَعْلومٌ- نَحْوَ الأَيْسَرِ وَالأَسْهَلِ وَالأَفْضَل، قالَ ويتني Whitney: "كُلُّ ما نَكْتَشِفُهُ مِنْ تَطَوُّرٍ في اللُّغَةِ لَيْسَ إِلّا أَمْثِلَةً لِنَزْعَةِ اللُّغاتِ إِلى تَوْفيرِ الْمَجْهودِ الَّذي يُبْذَلُ في النُّطْق"[3]. وَقالَ ماريوباي: "إِنَّ التَّغَيُّرَ اللُّغَوِيَّ يَرْجِعُ في الْغالِبِ الأَعَمِّ إِلى اخْتِيارِ ما هُوَ أَسْهَلُ في النُّطْق"[4].

---

(١) السّابق: ص٤١.

(٢) السّابق نَفْسه.

(٣) نَقْلاً عَن: فوزي حسن الشّايب، الماضي المُجَرَّد وَمَسْأَلَةُ الْبِناءِ عَلى الْفَتْح، مجلّة جامعة الملك سُعود، م٣، الآداب (١)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٤٣.

(٤) نَقْلاً عَن: فوزي حسن الشّايب، الماضي المُجَرَّد وَمَسْأَلَةُ الْبِناءِ عَلى الْفَتْح: ص١٤٣.

الدّاعي الثّاني: الرَّغْبَةُ في التَّخْصيص:

وَيَأْتي الدّاعي إِلى الاسْتِحْداثِ- في الْمَقامِ الثّاني- مَسْعى الْعَرَبِيَّةِ نَحْوَ (التَّخْصيص). فَلا شَكَّ أَنَّ (**هَلْ**) أَكْثَرُ تَخْصيصاً مِنَ (**الهَمْزَة**)، لأنَّ (**الهَمْزَةَ**) دالَّةٌ عَلى نَوْعَي الاسْتِفْهامِ: التَّصْديقِيِّ وَالتَّصَوُّرِيّ- كَما تَكَرَّرَ ماضِياً- . قالَ (ابْنُ هِشامٍ): "وَأَعَمُّ مِنَ الْجَميعِ[1] الْهَمْزَة، فَإِنَّها مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الطَّلَبَيْن"[2]، أَيْ: طَلَب التَّصْديقِ نَحْوَ: (أَزَيْدٌ قائِمٌ؟)، وَطَلَب التَّصَوُّرِ نَحْوَ: (أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرو؟)[3]. وَتَرَتَّبَ عَلى هذا أَنْ يَكونَ في الهَمْزَةِ عُمومٌ، وَأَنْ تَكونَ "أَعَمَّ تَصَرُّفاً في بابِها مِنْ أُخْتِها"[4]، وَأَنْ تَكونَ "أَوْسَع أَدَواتِ الاسْتِفْهامِ اسْتِعْمالاً"[5]، في حين إِنَّ (**هَلْ**) أُمْحِضَتْ لِنَوْعٍ واحِدٍ، حَسْبُ، مِن نَوْعَيِ الاسْتِفْهام: هُوَ الاسْتِفْهامُ التَّصْديقِيّ. إِذَنْ فَفي (**هَلْ**) خُصوص، أَوْ تَخْصيص. وَلَعَلَّ رَغْبَةَ الْعَرَبِيَّةِ في (تَخْصيصِ الأَدَواتِ)، هُوَ الَّذي أَفْضى بِها إِلى أَنْ تَسْتَحْدِثَ (**هَلْ**) مِنْ بَعْدِ (**الْهَمْزَة**)، وَالَّذي قَدْ يُقَوّي هذا الفَهْمَ أَنَّ (هَلْ) هِيَ أَداةُ الاسْتِفْهامِ الْوَحيدَةُ الْمُخَصَّصَةُ لِلتَّصْديق[6]. وَقَدْ ذَكَرَ (ابْنُ هِشام) أَنَّ (هَلْ) تَفْتَرِقُ

---

(١) أَيْ: مِنْ جَميعِ أَدَواتِ الاسْتِفْهام.

(٢) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣٢٥/٤.

(٣) السّابق: ٣٢٥/١، الحاشِيَة (٧).

(٤) ابْن يَعيش، شَرْحُ الْمُفَصَّل لِلزَّمخشَرِيّ: ٩٩/٥.

(٥) فاضِل صالِح السّامَرّائِيّ، مَعاني النَّحْو: ٢٣٢/٤.

(٦) دَع عَنْكَ ما قيلَ في (أَم) الْمُنْقَطِعَةِ إِنَّها لِلتَّصْديق، ذلِكَ أَنَّ الأَمْرَ مَعَها مُخْتَلِفٌ مِنْ جِهَتَيْن: الأولى أَنَّها مَسْبوقَةٌ دائِماً بِكَلامٍ فَلا يُبْتَدَأُ بِها، بَلْ تَقَعُ بَيْنَ جُمْلَتَيْن، ثُمَّ إِنَّ مَعْنى

مِنَ الْهَمْزَةِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُه، مِنْها: اخْتِصاصُها بِالتَّصْديق، وَاخْتِصاصُها بِالإيجاب، وَتَخْصيصُها الْمُضارِعَ بِالاسْتِقْبال، وَأَنَّها لا تَدْخُلُ عَلى الشَّرْطِ، وَلا عَلى (إِنَّ)، وَلا عَلى اسْمٍ بَعْدَهُ فِعْل، وَأَنَّها تَقَعُ بَعْدَ الْعاطِفِ لا قَبْلَه[1].

وَمَعْلومٌ أَنَّ جُنوحَ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ نَزْعَتَها نَحْوَ تَطْويرِ الأَدَواتِ، وَتَفْريعِها، وَاسْتِحْداثِها، تَفوقُ نَزْعَةَ أَخَواتِها اللُّغاتِ الْجَزرِيَّةِ الأُخْرى، وَهَدَفُها مِنْ هذا عِدَّةُ أُمورٍ مِنْها الاخْتِصاصُ أَوِ التَّخْصيص. مِنْهُ "أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ وَلَّدَتْ لِنَفْسِها مِنْ (إِنَّ) أَداةً أُخْرى هِيَ (أَنَّ)، وَخَصَّتْ هذِهِ الأَداةَ الْجَديدَةَ بِمَواضِعَ غَيْرِ تِلْكَ الَّتي تُسْتَخْدَمُ فيها (إِنَّ)"[2]. وَمِنْهُ أَنَّ (أَدَواتِ الإِشارَةِ) وَ(الأَدَواتِ الْمَوْصولَة) راجِعَةٌ، في اللُّغاتِ الجزرِيَّة، إِلى أَصْلٍ واحِد، قَبْلَ وُصولِها إِلى مَرْحَلَةِ الاسْتِقْلالِ وَالاخْتِصاص. قال (رمزي بعلبكي): "يَرْجِعُ بَعْضُ الأَدَواتِ في العَرَبِيَّةِ إِلى أُصولٍ واحِدَةٍ يُسْعِفُ في الكَشْفِ عَنْها النَّظَرُ السّامِيُّ الْمُقارِن. وَنُمَثِّلُ عَلى هذا بِأَسْماءِ الإِشارَةِ وَالأَسْماءِ الْمَوْصولَةِ فَنُحاوِل أَن نُثْبِتَ العَلاقَةَ بَيْنَهُما في "أَصْلِ الوَضْع"، أَيْ في اشْتِراكِهِما في أَصْلٍ واحِدٍ يَرْجِعانِ إِلَيْهِ في الْمَرْحَلَةِ

"الإِضْرابِ" لا يُفارِقُها (انظر: ابْنُ هِشام الأنصاريّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٢٨٨/١)، وَإِنّي لأَشْعُرُ أَنَّ (أَم) الْمُنْقَطِعَةَ تَحْتاجُ إِلى رَجْعِ نَظَر.

(١) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٣٢٤/٤- ٣٤٥.

(٢) رَمزي مُنير بعلبكي، فَقْهُ الْعَرَبِيَّةِ الْمُقارن: دِراساتٌ في أَصْواتِ الْعَرَبِيَّةِ وَصَرْفِها وَنَحْوِها عَلى ضَوْءِ اللُّغاتِ السّامِيَّة، ط١، ص١٦٠- ١٦١، دارُ الْعِلْمِ لِلْمَلايين، بيروت- لبنان، ١٩٩٩.

السّابِقَةِ عَلى اخْتِصاصِ كُلٍّ مِنْهُما بِوَظيفَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنِ الأُخْرى"[1]. وَرَجَّحَ أَنَّ اللُّغَةَ لم تَكُنْ تُمايزُ بَيْنَ (أَدَوات الإشارَة) وَ(الأَدَواتِ المَوْصولَة) في "فَتْرَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ مِنَ التّاريخِ اللُّغَوِيّ"، وَأَنَّ التَّمايُزَ بَيْنَ هذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الأَدَواتِ "قَدِ اكْتَمَلَ عَلى الْوَجْهِ الَّذي آلَ إِلَيْهِ لاحِقاً"[2].

وَجَديرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ نَزْعَةَ الْعَرَبِيَّةِ نَحْوَ (التَّخْصيصِ) نَزْعَةٌ عامَّةٌ لَيْسَتْ مَحْصورَةً في جانِبِ الأَدَواتِ- بِطَبيعَةِ الْحال- . فَقَدْ ذَكَرَ (برجشتراسر) في مَعْرِضِ حَديثِهِ عَنِ الأَفْعالِ وَالزَّمَنِ الْمَلْموحِ فيها، أَنَّ في الْعَرَبِيَّةِ تَمَيُّزاً واضِحاً عَنْ سائِرِ أَخَواتِها في هذا الْمَجال، لِما نَجِدُهُ فيها مِنْ تَخْصيصٍ وَتَنْويعٍ على هذا الْمُسْتَوى، قال: "وَمِمّا يَزيدُها تَمَيُّزاً عَنْ سائِرِها: **تَخْصيصُ** مَعاني أَبْنِيَةِ الْفِعْل وَتَنْويعُها، وَذلِكَ بِواسِطَتَيْن، **إِحْداهُما** اقْتِرانُها بِالأَدَوات، نَحْو: (قَدْ فَعَلَ) وَ(قَدْ يَفْعَلُ) وَ(سَيَفْعَلُ)، وَفي النَّفْي: (لا أَفْعَل) بِخِلافِ (ما فَعَلَ)، وَ(لَنْ يَفْعَلَ) بِخِلافِ (لا يَفْعَل) وَ(ما يَفْعَل). **وَالأُخْرى**: تَقْديم فِعْل (كانَ) عَلى اخْتِلافِ صِيَغِهِ، نَحْو: (كانَ قَدْ فَعَلَ) وَ(كانَ يَفْعَلُ) وَ(سَيَكونُ قَدْ فَعَلَ)، إِلى آخِرِ ذلِك"، وَانْتَهى إِلى أَنَّ هذا كُلَّهُ "يُنَوِّعُ مَعانِيَ الْفِعْلِ تَنْويعاً أَكْثَرَ بِكَثيرٍ مِمّا يوجَدُ في أَيَّةِ لُغَةٍ كانَت، مِنْ سائِرِ اللُّغاتِ السّامِيَّة، قَريباً مِنْ غِنى الْفِعْلِ الْيونانِيِّ وَالْغَرْبِيّ، أَوْ بِالأَحْرى أَغْنى مِنْهُما في بَعْضِ الأَشْياء. وَهذا مِنْ أَكْبَرِ الأَدِلَّةِ

(١) السّابق: ص٢٤٧.
(٢)السّابق: ص٢٤٨.

عَلى سَجِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَطَبيعَتِها، **فَهِيَ أَبَداً تُؤْثِرُ الْمُعَيَّنَ الْمَحْدود، عَلى الْمُهِمِّ**[1] **الْمُطْلَق، وَتَميلُ إِلى التَّفْريقِ وَالتَّخْصيص**"[2].

الدّاعي الثّالث: تَقْوِيَةُ الاسْتِفْهام:

أَحْسَبُ أَنَّ اسْتِحْداثَ الْعَرَبِيَّةِ لِـ(هَلْ)، لَيْسَ يُرَدُّ حَسْبُ إِلى رَغْبَتِها في تَجاوُزِ الصُّعوبَةِ الْمُقَرَّرَةِ الَّتي لِلْهَمْزَةِ، أَوْ إِلى رَغْبَتِها في (التَّخْصيص). فَقَدْ ذَكَرَ (برجشتراسر) أَنَّ (هَلْ) "أَشَدُّ قُوَّةً في الاسْتِفْهامِ، وَقَد تَرْمزُ إِلى أَنَّ السّائِلَ يَتَوَقَّعُ الْجَوابَ بِـ(لا)، وَلِذلِكَ قَد تَقَعُ بَعْدَها (مِن) الخاصَّةُ بِالسَّلْب، مِثالُهُ مِنَ القُرْآن: ﴿ هَلْ مِن مَزيد﴾، فَكَأَنَّ مَعْناها: (ما مِن مَزيد)"[3]. وَصَحَّحَ رَأْيَهُ (فاضل صالِح السّامَرّائِيّ)[4]. وَلَعَلَّ (برجشتراسر) اسْتَفادَ هذا الْمَلْحَظَ مِمّا أَوْرَدَهُ النَّحْوِيّونَ حينَما ذَهَبوا إِلى أَنَّ مِمّا تَنْفَرِدُ بِهِ (هَلْ) أَنَّهُ "يُرادُ بِالاسْتِفْهامِ بِها النَّفْي، وَلِذلِكَ دَخَلَتْ عَلى الْخَبَرِ بَعْدَها (إِلّا) في نَحْوِ: ﴿ هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلّا الْإِحْسان﴾ "[5].

وَإِنَّ كَوْنَ (هَلْ) أَشَدَّ قُوَّةً في الاسْتِفْهام، قَدْ يُؤَيِّدُهُ دَليلٌ آخَرُ هُوَ عَدَمُ مُباشَرَتِها لِلنَّفْي في مُقابِلِ مُباشَرَةِ (الهَمْزَةِ) لَه. وَعَلاوَةً عَلى هذا، أَرى أَنَّ مِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ تَكونَ (هَلْ) أَشَدَّ قُوَّةً في الاسْتِفْهامِ مِنَ (الْهَمْزَةِ)، ذلِكَ أَنَّ هَمْزَةَ الاسْتِفْهامِ لَيْسَتْ- في الأَصْلِ- سِوى نَبْرَةٍ صَوْتِيَّة، أَوْ صَوْتٍ

---

(١) هكَذا في الأَصْل، ولعلَّ الأصوب: (المبهَم) لِيَكونَ في مُقابَلِ (المُعَيَّن).
(٢) برجشتراسر، التَّطَوُّرُ النَّحْوِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّة: ص٨٩- ٩٠.
(٣) السّابِق: ص١٦٦.
(٤) فاضل صالح السّامَرّائِيّ، مَعاني النَّحْو: ٤/٢٤٩- ٢٥٠.
(٥) اِبْنُ هِشام الأنصارِيّ، مُغْني اللَّبيب عَنْ كُتُبِ الأَعاريب: ٤/٣٣١- ٣٣٢.

فِطْـرِيٍّ ، أَوْ صُـوَيْتٍ ، تَحَـوَّلَ في مَراحِـلَ لاحِقَـةٍ إِلى أَداةٍ. وَقَـدْ يَكـونُ أَنَّ ضَعْفَ الْهَمْزَةِ هذا ، دَفَعَ في اتِّجاهِ اسْتِحْداثِ أَداةٍ أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْها : (هَل).

* * *

الخاتمَة:

خَلَصَ الْبَحْثُ إِلى نَتيجَتَيْنِ قَدْ يَجِدُ فيهِما الْقارِئُ ما يُضيفُ جَديداً:

النَّتيجة الأولى: تَرَجَّحَ فيها أَنْ تَكونَ هَمْزَةُ الاسْتِفْهامِ (أَ) أَقْدَمَ ظُهوراً في الْعَرَبِيَّةِ مِنْ رَديفَتِها (هَلْ)، اسْتِناداً إِلى مُرَجِّحاتٍ تُصَنَّفُ أَصْنافاً ثَلاثَة: مُرَجِّحات صَوْتِيَّة وَصَرْفِيَّة، وَمُرَجِّحات تَرْكيبِيَّة، وَثالِثَة نَصِّيَّة. فَمِمّا يُشيرُ إِلى قِدَمِ الْهَمْزَةِ في الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَواتِها اللّغاتِ الجزرِيَّةِ- أَحْياناً- ، الْحَقائِقُ الْمَرْصودَةُ الآتِيَة:

أ. أَنَّ الْهَمْزَةَ تُعَدُّ رَكيزَةً صَوْتِيَّةً فيها، فَلا يَتَأَتّى نُطْقُ الصّامِتِ الْمُفْرَدِ أَوِ الصّائِتِ الْمَعْزولِ في هذِهِ اللُّغاتِ إِلّا بِالتَّوَسُّلِ بِالْهَمْزَة، فَيُقال في نُطْقِنا الْباءَ- مَثَلاً- : (إِبْ) عِوَضَ (بْ)، وَفي نُطْقِنا الْفَتْحَةَ القَصيرَةَ وَالطَّويلَةَ- مَثَلَيْنِ- : (ء- َ) وَ(ء- َـ َ) بَدَلَ (- َ) وَ(- َـ َ).

ب. أَنَّ الهَمْزَةَ هِيَ الصَّوْتُ الْوَحيد الَّذي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ اللُّغَةُ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْبَدْءِ بِصَوْتَيْنِ صامِتَيْنِ مُتَتالِيَيْنِ: (اِشْتَرَكَ، اِسْوَدَّ، اِسْتَخْرَجَ، ...).

ج. أَنَّ الهَمْزَة تَتَصَدَّرُ التَّكْوينَ الْبِنائِيَّ لِكَثيرٍ مِنَ الصِّيَغِ اللُّغَوِيَّةِ الْموغِلَةِ في الْقِدَم، كَالضَّمائِر: (أَنا، أَنْتَ، أَنْتُما، أَنْتُم، أَنْتِ، أَنْتُنَّ، إِيّايَ، إِيّانا، إِيّاهُ، إِيّاهُما، إِيّاهُم، إِيّاها، إِيّاهُنَّ، إِيّاكَ، إِيّاكُما، إِيّاكُم، إِيّاكِ، إِيّاكُنَّ)، وَالأَلْفاظِ الدّالَّةِ عَلى أَفْرادِ الأُسْرَة: (أَب، أُمّ، أَخ، أُخْت، اِبْن، اِبْنَة). كَما تَتَصَدَّرُ الْهَمْزَةُ كَثيراً مِنَ أَبْنِيَةِ الأَدَواتِ وَالظُّروف: (آ، أَمامَ، أَيا، أَجَلْ، إِذْ، إِذا، إِذَنْ، أَلا، البَتَّةَ، إِلّا، إِلى، أَمْ، أَمّا، إِمّا، إِنْ، أَنْ، إِنَّ، أَنَّ، أَنّى، أَوْ، إِي، أَيْ، أَيّ، أَيْمُن، أَيّانَ، أَيْنَ، ...). إِضافَةً إِلى أَنَّها

تَـدْخُلُ سـابِقَةً في تَكْـوينِ الْعَديـدِ مِـنْ أَبْنِيَـةِ الْجُمـوعِ في الْعَرَبِيَّـة: (أَفْعُـل، أَفْعال، أَفْعِلَة، أَفْعِلاء، فُعَلاء، فَعائِل، ...).

د. أَنَّ الْهَمْـزَةَ تَفْتَتِحُ الـصّيغَةَ الْوَحيـدَةَ الَّـتي أَنْـشَأَتْها اللُّغَـةُ لِلتَّفْـضيلِ: (أَفْعَلُ مِنْ...).

ه. أَنَّ الْهَمْزَةَ تَتَصَدَّرُ أَداةَ التَّعْريفِ الْوَحيدَةَ في العربيَّة: (أَل).

و. أَنَّ الْهَمْزَةَ هِيَ أَصْلُ كُـلِّ أَلِـفٍ لا تُعَـدُّ بَـدَلاً مِـنْ واوٍ أَوْ يـاء، كَـأَلِفِ (فاعَلَ، تَفاعَلَ، اِفْعالَّ، يَفْعَلانِ، فاعِل).

النَّتيجة الثّانِيَة: أَنَّ ثَمَّـةَ دَواعِـيَ ثَلاثَـةً اضـطَرَّتِ الْعَرَبِيَّـةَ إِلى اسْتِحْداثِ (هَلْ) مِنْ بَعْدَ (الْهَمْزَة)، هذِهِ الدَّواعي يُمْكِنُ تَلْخيصُها في ثَلاثِ رَغباتٍ لِلُّغَة:

أ. رَغْبَـة اللُّغَـةِ في تَجـاوُزِ الـصُّعوبَةِ الْمُقَـرَّرَةِ لِـصَوْتِ الْهَمْـزَةِ، وَتَفـادي نُفورِ النّاطِقينَ مِنْهُ، وَهُوَ نُفـورٌ مسْتَعْلٍ مُعْلَـن، فَكـانَ أَنْ جـيءَ بِـأَداةٍ لَـيْسَ فيها هذا الصَّوْت: (هَل).

ب. رَغْبَة اللُّغَةِ في التَّخْصيص، لِما تَنْطَوي عَلَيْهِ (الْهَمْـزَةُ) مِـنْ عُمـوم، إِذْ هِـيَ أَعَـمُّ مِـنْ جَميـعِ أَدَواتِ الاسْـتِفْهامِ لأَنَّهـا مُـشْتَرَكَةٌ بَـيْنَ التَّـصَوُّرِ وَالتَّصْديق. فَنَزْعَـةُ اللُّغَـةِ نَحْـوَ (تَخْـصيصِ الأَدَواتِ)، هُـوَ الَّـذي قادَهـا إِلى اسْتِحْداثِ (هَلْ) الْمُخَصَّصَةِ لِلتَّصْديقِ وَحْدَه.

ج. رَغْبَة اللُّغَةِ في تَقْوِيَةِ الاسْتِفْهام، ذلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ لَدى بَعْضِ اللُّغَـوِيّينَ أَنَّ (هَلْ) أَشَدُّ قُوَّةً في الاسْتِفْهام.

وَالْحَقيقَـةُ أَنَّ هـذِهِ الْمُحاوَلَـةَ، مُحاوَلَـةَ إِثْبـاتِ أَنَّ (هَمْـزَةَ الاسْـتِفْهامِ) أَسْبَقُ في الظُّهورِ مِنْ أُخْتِها (هَـلْ)، مـا جـاءَتْ إِلّـا لِتَعْقبَهـا مُحاوَلَـةٌ أُخْـرى.

كانَ هذا البَحْثُ ضَرورِيّاً، إِذْ هُوَ خطْوَةٌ أولى تُؤَسِّسُ لِلْقَوْلِ- مُسْتَقْبَلاً في بَحْثٍ آخَرَ مُنْفَرِد- : إِنْ كانَتِ الأَداةُ الأَحْدَثُ نِسْبِيّاً (هَلْ) مُشْتَقَّةً مِنَ الْهَمْزَةِ، أَمْ إِنَّها تَطْويرٌ مِنْ طَريقٍ أُخْرى مُنْفَصِلَةٍ بَعيدَةٍ مِنَ (الْهَمْزَة). وَهُوَ بَحْثٌ تَأْصيلِيٌّ مُقارِن.

وَاللهُ- تَعالى- أَعْلى وَأَعْلَم، وَأَجَلُّ وَأَكْرَم، وَلِلهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ أَوَّلاً وَآخِراً، وَصَلّى اللهُ عَلى نَبِيِّنا مُحَمَّد، وَعَلى آلِهِ الأَطْهار، وَصَحْبِهِ الأَخْيار، وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيرا.

* * *

الْمَصادِرُ وَالْمَراجِع

- **الْقُرْآنُ الْكَرِيم.**

١. إِبْراهيم أَنيس، الأَصْواتُ اللُّغَوِيَّة، مَكْتَبَةُ نَهْضَة مِصْر وَمطبعتها، مِصْر، د.ت.

٢. إبراهيم الأنصاري، دُروس في عِلْمِ المَنْطِق، د.ط، كِتاب إلكترونِيّ (دون ترقيم صفحات)، د.ت.

٣. أَحْمَد مَطْلوب، مُعْجَم الْمُصْطَلَحاتِ الْبَلاغِيَّةِ وَتَطَوّرها، إعادة طبع، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧.

٤. الأخضري، شَرْح العَلّامة الأَخْضَرِيّ على سلَّمه في عِلْمِ الْمَنْطِق، د. ط، كتاب إلكتروني بصيغة وورد منقول من طبعة البابي الحلبي، د.ت.

٥. إِدْريس مَقْبول، الأُسُس الإبستمولوجيَّة والتَّداوليَّة لِلنَّظَرِ النَّحْوِيِّ عِنْدَ سِيبَوَيْه، ط١، جدارا للكِتاب العالَمِيّ- عَمّان، عالم الكُتُبِ الْحَديث- إربد، الأُرْدُنّ، ٢٠٠٦.

٦. إِسْماعيل أَحْمَد عَمايرة، بُحوثٌ في الاسْتِشْراقِ وَاللُّغَة، ط١، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالَة- بَيْروت، دار البَشير- عَمّان/الأُرْدُنّ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧. أَبو أَوْس إِبْراهيم الشَّمْسان، الإِبْدال إِلى الْهَمْزَةِ وَأَحْرُفِ الْعِلَّةِ في ضَوْءِ كِتابِ سِرّ صِناعَةِ الإِعْراب لابْنِ جِنّيّ، حَوْلِيّات الآداب وَالْعُلومِ الاجْتِماعِيَّة، الرِّسالَة ١٨٦، الْحَوْلِيَّة الثّانِيَةُ وَالْعِشْرون، ١٤٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠٠١- ٢٠٠٢م، مَجْلِسُ النَّشْرِ الْعِلْمِيّ، جامِعَةُ الْكُوَيْت.

٨. برجشتراسر، التَّطَوُّرُ النَّحْوِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّة، أَخْرَجَهُ وَصَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه: رَمَضان عبد التَّوّاب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهِرَة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٩. تشيم رابين، اللّهجات العربيَّة الْقَديمَةُ في غَرْبِ الْجَزيرَةِ الْعَرَبِيَّة، تَرْجَمَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه: عبد الكريم مُجاهِد، ط١، الْمُؤَسَّسَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلدِّراساتِ وَالنَّشْر، بَيْروت، ٢٠٠٢.
١٠. التّهانوي، محمَّد علي، مَوْسوعَة كَشّاف اصْطِلاحاتِ الفُنونِ وَالعُلوم، تَقْديم وَإِشْراف ومُراجَعَة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نَقَلَ النَّصَّ الفارِسِيَّ إِلى العربيَّة: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيَّة: جورج زيناتي، ط١، مكتبة لبنان ناشِرون، بيروت- لُبْنان، ١٩٩٦.
١١. توفيق لافي النّواصرة، الهمزة في ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَديث، ط١، دار جَليس الزَّمان، عَمّان، ٢٠١١.
١٢. جَعْفَر يايوش، الصَّوْتُ بَيْنَ الْمِعْيارِيَّةِ وَالْمَوْضوعِيَّةِ عِنْدَ الْخَليلِ الفراهيدِيّ، مجلَّة إِنْسانِيّات Insaniyat: الْمَجَلَّةُ الْجَزائِرِيَّة في الأنثروبولوجيا وَالْعُلومِ الاجْتِماعِيَّة، الْعَدَد (٢١)، ٢٠٠٣.
١٣. جَميلُ بُثَيْنَة، جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، ديوانُ جَميل بُثَيْنَة، جَمْع وَتَحْقيق: حسين نَصّار، ط٢، الْقاهِرَة، ١٩٦٧م.
١٤. ابْنُ جِنّيّ، أَبو الفَتْح عُثْمان، سِرُّ صِناعَةِ الإِعْراب، دِراسَة وَتَحْقيق: حَسَن هِنْداوي، ط٢، دار القَلَم لِلطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، دِمَشْق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٥. حامِد الشنبري، الاستفهام في العربيَّة وَالعبريَّة: دراسة لغويَّة مُقارِنَة، مجلَّة كلِّيَّة دار العُلوم، القاهِرَة، العدد ٣٢، ٢٠٠٤، ص٦٩٧- ٧٢٢.

١٦. خالد ميلاد، الإنشاء في العربيَّة بَيْنَ التَّرْكيبِ وَالدِّلالَة، ط١، جامِعَة منوبة: كلِّيَّة الآداب- منوبة، المُؤَسَّسة العربيَّة للتَّوزيع، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١.

١٧. داود عَبْده، أَبْحاثٌ في الْكَلِمَةِ وَالْجُمْلَة، ط١، دار الكرمل لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، عَمّان- الأُرْدُنّ، د.ت.

١٨. داود عبده، دِراساتٌ في عِلْمِ أَصْواتِ العربيَّة "الجزء الأَوَّل"، ط٢، دار جرير لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٩. رَضِيّ الدّين، مُحَمَّد بْنُ الْحَسَنِ الأَستراباذِيّ، شَرْحُ شافِيَةِ ابْنِ الْحاجِب مَعَ شَرْحِ شَواهِدِه، تَحْقيق: محمَّد نور الحسن وَمحمَّد الزَّفْزاف وَمحمَّد مُحْيي الدّين عَبْد الْحَميد، دار الكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْروت، لُبْنان، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٠. رَمزي مُنير بعلبكي، فَقْهُ الْعَرَبِيَّةِ الْمُقارن: دِراساتٌ في أَصْواتِ الْعَرَبِيَّةِ وَصَرْفِها وَنَحْوِها عَلى ضَوْءِ اللُّغاتِ السّامِيَّة، ط١، دارُ الْعِلْمِ لِلْمَلايين، بيروت- لبنان، ١٩٩٩.

٢١. السَّكّاكِيّ، أبو يَعْقوب يوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ، مِفْتاحُ العُلوم، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَفَهْرَسَه: عَبْد الحَميد هنداوي، ط١، مَنشورات مُحمَّد علي بَيْضون، دار الكُتُبِ العلميَّة، بيروت- لُبْنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٢. سلمان حَسَن العاني، التَّشْكيلُ الصَّوْتِيُّ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّة: فونولوجيا العربيَّة، ترجمة: ياسر الملّاح، مُراجَعَة: محمَّد محمود غالي، ط١، النّادي الأَدَبِيّ الثَّقافِيّ- جدَّة، المملكة العربيَّة السّعودِيَّة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٣. سمير شريف ستيتيَّة، الشرط والاستفهام في الأساليب العربيَّة، ط١، دار القلم لِلنَّشر والتَّوزيع، دبيّ- الإمارات العربيَّة المتَّحدة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٤. سيبَوَيْه، أَبو بِشْر عَمْرو بْن عُثْمان بن قنبر، الْكِتاب، تَحْقيق وَشَرْح: عبد السَّلام محمَّد هارون، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهِرَة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٥. ابْن سينا، أَبو عليّ الْحُسَيْن بن عبدِ الله، التَّعْليقات، تَحْقيق وَتَقْديم: حَسَن مَجيد العُبَيْدِيّ، د.ط، دار الفرقد، دِمَشْق- سوريا، ٢٠٠٩.

٢٦. شاكر محمود إسماعيل العبيدي، الاسْتِفْهام في عِبْرِيَّةِ التَّوْراة: أَدَواتُه وَأَساليبه، إِشْراف: صبيح مدلول السّهيري، أُطْروحَةُ ماجِسْتير، قِسْم اللّغةِ الْعِبْرِيَّة، كُلِّيَّة اللّغات، جامِعَة بَغْداد، جُمْهورِيَّةُ الْعِراق، صَفَر ١٤٢١هـ- أَيّار ٢٠٠٠م.

٢٧. الشّريف الجُرْجانِيّ، عليّ بن مُحَمَّد، مُعْجَمُ التَّعْريفات، تَحْقيق وَدِراسَة: مُحَمَّد صِدّيق المِنْشاوي، دار الفَضيلَة، القاهِرَة.

٢٨. عَبْد الْحَقّ فاضِل، مُغامَراتٌ لُغَوِيَّة (مَلِكَة اللُّغات)، تَوْزيع: دار الْعِلْمِ لِلْمَلايين، د.ت.

٢٩. عبد القادِر حسين، أَثَرُ النُّحاةِ في الْبَحْثِ الْبَلاغِيّ، د. ط، دار غريب لِلطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، القاهِرَة، ١٩٩٨.

٣٠. عبد القادِر عبد الجَليل، الأَصْواتُ اللُّغَوِيَّة، ط١، دار صَفاء لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيع، عَمّان – الأُرْدُنّ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣١. عُمر بن أَبي رَبيعَة، ديوانُ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَة، د. ط، دارُ الْقَلَم، بَيْروت- لُبْنان، د.ت.

٣٢. عَمْرو بن قميئة، ديوان عَمْرو بنِ قميئة، تحقيق: خَليل إبراهيم العطيَّة، ط٢، دار صادِر، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٣. فاضِل صالِح السّامَرّائِيّ، مَعاني النَّحْو، ط١، دار الفكر للطّباعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزيع، عَمّان/الأُرْدُنّ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٤. الْفَراهيدِيّ، أَبو عَبْدِ الرَّحْمنِ الْخَليلُ بْنُ أَحْمَد، كِتابُ الْعَيْن، تَحْقيق: مَهْدي المَخْزومِيّ وَإِبْراهيم السّامَرّائِيّ، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٥. فَريدة بن فضَّة، الاسْتِفْهامُ عِنْدَ السَّكّاكِيّ: دِراسَةٌ تَداوُلِيَّة، مجلَّة الممارسات اللغويَّة، مخبر المُمارَسات اللّغويَّة في الجَزائِر، العدد (٣٢)، ٢٠١٥، ص١١٣- ١٣٢.

٣٦. فوزي حَسَن الشّايب، تَصْويبُ قَوْلِ الْعامَّة: فُلانٌ أَخِصّائِيّ بِكَذا وَكَذا، مجلَّة مَجْمَع اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الأُرْدُنِيّ، العَدَد (٣٦)، يناير ١٩٨٩، ص٣٢٨- ٣٤٧.

٣٧. فَوْزي حَسَن الشّايب، ضَمائِرُ الْغَيْبَةِ: أُصولُها وَتَطَوُّرُها، حَوْلِيّاتُ كُلِّيَّةِ الآداب- جامِعَةُ الْكُوَيْت، الْحَوْلِيَّةُ الثّامِنَة، الرِّسالَةُ السّادِسَةُ وَالأَرْبَعون، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٨. فوزي حسن الشّايب، الماضي المُجَرَّد وَمَسْأَلَةُ الْبِناءِ عَلى الْفَتْح، مجلَّة جامعة الملك سُعود، م٣، الآداب (١)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١١٣- ١٤٦.

٣٩. قَيْس إِسْماعيل الأَوْسِيّ، أَساليب الطَّلَب عِنْدَ النَّحْوِيّينَ وَالْبَلاغِيّين، وِزارَة التَّعليم العالي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيّ، جامِعَة بَغْداد/ بَيْت الْحِكْمَة، بَغْداد، ١٩٨٨.

٤٠. كارل بروكلمان، فِقْهُ اللُّغاتِ السّامِيَّة، تَرْجَمَةُ: رَمَضان عبد التَّوّاب، جامِعَةُ الرِّياض، الرِّياض، المَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السّعودِيَّة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٤١. الكَفَوِيّ، أبو البَقاء أيّوب بن موسى الحسينيّ، الكُلِّيّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، قابله على نسخة خطِّيَّة وأعدَّه للطَّبع وَوَضَعَ فَهارِسَهُ: عدنان درويش ومحمَّد المصريّ، ط٢، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت – لُبْنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٢. كمال محمَّد بشر، علم اللغة العامّ – الأَصْوات، ط٩، دار المَعارِف بِمِصْر، القاهِرَة، ١٩٨٦.

٤٣. الْكُمَيْت، الكُمَيْت بن زيدٍ الأَسَدِيّ، ديوانُ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ الأَسَدِيّ، جَمْع وَشَرْح وَتَحْقيق: محمَّد نَبيل طريفي، ط١، دار صادِر، بَيْروت، ٢٠٠٠م.

٤٤. المبرّد، أبو العبّاس محمَّد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، ط٢، ٣/٢٩٠- ٢٩١، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، لجنة إحياء التُّراث الإسلاميّ، جمهوريَّة مصر العربيَّة، القاهِرَة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٥. محمَّد التّونجي، رَأْيٌ في جُذورِ الضَّمائِرِ الْعَرَبِيَّة، مجلَّة اللِّسان الْعَرَبيّ، مج١٣، ١٩٧٦م، ص١٠٢- ١٠٤.

٤٦. محمَّد رِضا المظفر، المنطق، د.ط، دار التَّعارُف لِلْمَطْبوعات، د.م، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٧. محمَّد محمَّد الخطابيّ، أَسْرارُ الضَّمائِرِ أَوْ رَأْيٌ في جُذورِ الضَّمائِرِ الْعَرَبِيَّة، مَجَلَّةُ اللِّسان الْعَرَبِيّ، المجلَّد١٣، ١٩٧٦، ص١٠٥- ١٠٧.

٤٨. محمَّد محيي الدّين عبد الحميد، شَرْح ديوانِ عُمَرَ بْنِ أَبي رَبيعَةَ الْمَخْزومِيّ، ط١، مطبعة السَّعادَة، مِصْر، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

٤٩. محمود رَمَضان الدّيكِيّ، الهمزة و(هل): دراسة في الفروق التّركيبيَّة والدّلالِيَّة، المَجَلَّةُ الأُرْدُنِيَّةُ في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدابِها، المُجَلَّد (٢)، الْعَدَد (١)، ذو الحجَّة ١٤٢٦هـ/كانون الثّاني ٢٠٠٦م، ص٤١- ٦٢.

٥٠. محمود رَمَضان الدّيكي، ضَميرا المُتَكَلِّم: أَصْلُهُما وَتَطَوُّرُهُما في الْعَرَبِيَّةِ وَلهجاتِها، بَحْثٌ مَقْبولٌ لِلنَّشْرِ في مَجَلَّةِ كُلِّيَّةِ الآداب، جامِعَة الْقاهِرَة.

٥١. الْمُرادِيّ، الْحَسَن بْن قاسِم، الجَنى الدّاني في حُروفِ الْمَعاني، تحْقيق: فخر الدّين قباوة وَمحمَّد نَديم فاضِل، ط١، دار الكُتُب العلميَّة، بيروت- لُبْنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥٢. مَكّيّ بْنُ أَبي طالِب، أبو محمَّد القيسِيّ، الرِّعايَة لِتَجْويدِ الْقِراءَة وَتَحْقيق لفظ التِّلاوة، تحقيق: أحمد حَسَن فرحات، ط٣، دار عَمّار، الأُرْدُنّ- عَمّان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥٣. مكّيّ بن أبي طالِب، أَبو مُحَمَّد الْقَيْسِيّ، الْكَشْفُ عَنْ وُجوهِ الْقِراءاتِ السَّبْع وَعِلَلِها وَحُجَجِها، تَحْقيق: مُحْيي الدّين رَمَضان، ط٣، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالَة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٤. ابن منظور، أَبو الْفَضْل جَمال الدّين محمّد بن مكرم، لِسانُ الْعَرَب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠.

٥٥. الْمَوْزِعِيّ، محمَّد بن عليّ بن إبراهيم، مَصابيحُ المَغاني في حُروفِ الْمَعاني، دراسة وتحقيق: عائض بن نافع بن ضيف الله العمريّ، ط١، دار المَنار، القاهِرَة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٦. الهَرَوِيّ، عَلِيّ بن محمَّد النَّحْوِيّ، كِتابُ الأُزْهِيَّة في عِلْمِ الْحُروف، تَحْقيق: عبد المُعين الملّوحي، ط٢، مَجْمع اللُّغة العربيَّة، دِمَشْق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٥٧. ابْنُ هِشامٍ الأَنْصارِيّ، جمال الدّين عبد الله بن يوسف، مُغْني اللَّبيبِ عَنْ كُتُبِ الأَعاريب، تَحْقيق وَشَرْح: عبد اللَّطيف محمَّد الخَطيب، ط١، الْمَجْلِسُ الْوَطَنِيُّ لِلثَّقافَةِ وَالْفُنونِ وَالآداب، السِّلْسِلَة التُّراثِيَّة: (٢١)، الْكُوَيْت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٥٨. هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، التّصوّر والتّصديق في العربيّة، رِسالة ماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها، إشراف: خديجة عبد الرزّاق الحديثي، جامعة بغداد، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٩. وَحيد صَفِيَّة، أَشْكالُ التَّبَدُّلاتِ الصَّوْتِيَّةِ في اللُّغاتِ السّامِيَّة، مجلَّة جامِعَةِ تشرين- الآداب وَالعُلوم الإِنْسانِيَّة، المجلَّد (٣١)، العدد (١)، ٢٠٠٩، ص٤٩- ٦٩.

٦٠. ابن يعيش، موفّق الدّين أبو البقاء، شرح المُفَصَّلِ لِلزَّمخشرِيّ، قَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ هَوامِشَهُ وَفَهارِسَهُ: إميل بديع يعقوب، ط١، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بَيْروت- لُبْنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

المراجع الأجنبيَّة:

١. W. Wright, A Grammar of The Arabic Language, ٣rd Edition, Cambridge University Press, Cambridge, Vol.١: ١٨٩٦, Vol.٢: ١٨٩٨.

٢. William Wright, Lectures on The Comparative Grammar of The Semitic Languages, Cambridge University Press Warehouse, ١٨٩٠.

المواقع الإلكترونيَّة:

٣.http://www.elibrary٤arab.com/ebooks/manteq-w-falsafa/droos-manteq/tasawr-tasdeeq.htm

٤. https://sites.google.com/site/tarekprofv٣/ts١

❊ ❊ ❊

Mīlād, K. (2001). *Al-inshā'fi al--arabiya bayn al-tarkīb wa-al- daāla* (1st ed.). Tunis: Jāmi-at manūba, al-mu'asasa al--arabiyya li-al-tawzī-.

53. Qamī'a, A. (1994). *Diwān -Amr Bin Qamī'a* (2nd Ed.) (K. Al--aTiya, Ed.). Beirut: Dār Sādir.

54. Rabin, C. (2002). *Al-Lahajāt al--Arabiyah Al-qadīmah al-fi gharb Al-jazīrah Al-arabiyah* (Mujāhid, Trans.). Beirut: Al-mu'sasah al-arabiyah lil dirasāt wal nashr.

55. S. (1992). *Al-kitāb* (Harūn, Ed.). Cairo: Maktabat al-Khānji

56. Safiya, W. (2009). *Ashkā Al-Tabadulāt Al-SawTiya fi Al-lughāt al-s āmiya*. Majallat Jami-at Tishrīn.

57. Stitiy, S. S. (1995). *Al-sharT wa-Al-'istifhām fi al-asālīb al--arabiyya* (1st ed.). Dubai, UAE: Dār al-Qalam.

58. Wright, W. (1898). *A Grammar of The Arabic Language* (3rd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

59. Yāyūsh, J. (2003). *Al-Sawt Bayn al-Mi-yāriya wa-al-MauDHū-iya -ind Al-khali īl Al-farāhiīdī*. majallat 'insāniyāt. doi:al--adad (21).

❊ ❊ ❊

43. Buthayna, J. (1967). *Jamīl bin Abdullah bin Mu'amar* (2nd Ed.) (H. NaSār, Ed.). Cairo: Dīwān Jamīl Buthayna.

44. Fādil, A. (n.d.). *Mughāmarāt Lughawiyah (Malikat Al-Lughāt)*. Dār Al--ilm Li-Al-Malāyīn.

45. Ibn Jinni. (1993). *Sir Sinā'at al- i'rāb* (2nd Ed.) (A. 'Uthmaān & H. hindāwi, Eds.). Damascus: Dār al-Qalam.

46. Ibn Manzhūr. (1990). *Lisān Al-'arab* (1st ed.). Beirut: Dār Sāder.

47. Ibn Sinā. (2009). *Al-ta-līqāt* (A. Bin Abdullah & H. Al--ubaydiy, Eds.). Damascus: Dār al-Farqad.

48. Ibn ya-īsh. (2001). *Muwafaq al-d īn abu al-baqa', SharH al-MufaSil li-al-Zamakhshary* (1st Ed.) (E. ī- Ya-q ūb, Ed.). Beirut: Dūr al-Kutub al--ilmiya.

49. Ibrāhīm al-anSāriyy, *Durūs fi -ilm al-ManTiq*.

50. M. M. (1952). *SharH Diwān -umar Bin Abi Rabī -a Al-Makhzūmy* (1st ed.). Egypt: MaTba-at al-Sa-āda.

51. Maqbūl, I. (2006). *Al-'usus al-ibistimulūjiya wa-al-tadāwuliya li-al-nazhar al-naHwī -ind sībawayh-jadāra li-al-kitāb al-- ālamī* (1st Ed.). Jordan: - ālam al-kutub al-Hadīth.

52. MaTlūb, A. (2007). *Mu-jam al-muSTalaHāt al-balāghiyah wa-taTawuriha*. Maktabat Lubnaan Nashirūn.

33. Al-Tūnjī , M.*Ra'y fī judhūr Al-DHamā 'er Al-Arabiya*. Majallat Al-Lisān Al-Arabi, Al-mujallad: 13.

34. Al--ubaydiy , S. (2000). *Al-'istifh ām fi -Ibriyat Al-Tawr āh: adawat wa as ālībh*. Jumhūriyetat Al-`irāq: jami-at Baghdad

35. -Amāyrah, I. (1996). *BuHūth fi al-istishrāq wa-al-lughah* (1st Ed.). Beirut-Amman: mu'asasat al-risālah-Dār al-Bashīr.

36. Anīs, I. (n.d.). *Al-aSwāt al-lughawiya, maktabat naHDat MiSr wa-maTba-atuha*. MiSr.

37. Ba-labakī, . M. (1999). *Fiqh Al--Arabiya al-muqāran* (1st ed.). Beirut: .), Dār al--ilm Li-Al-Malāyīn.

38. Bergsträsser. (1994). *Al-taTawur al-naHawy li-Al-lughah al-Arabiyyah* (2nd Ed.) (R. Abd al-tawāb & Akhrajahu, Eds.). Cairo: Maktabat al-Khānji.

39. Bin FiDHa , F. (2015). *Al-istifhām-ind al-sakāy*. majallat al-mum ā rasāt al-lughawiya. doi:al--adad: 32, pp. 113-132.

40. Bin Qāsim, A., & A. (n.d.). *Al-janā al-dāni fi Hur ūf al-Ma- āni* (1st ed.). Beirut, 1992: Dār al-kutub al--ilmiyya.

41. Bishr, K. (1986). *-ilm Al-lughah Al-- ām: AlaSw āT* (9th Ed.). Cairo: Dār Al-Ma` āref Bi-MiSr.

42. Brokilmaan, K. (1977). *Fiqh Al-lughāt Al-Sāmiyya* (R. `abd Al-Tawāb, Trans.). Al-RiyāDH, SA. Jami-at Al-RiyāDH.

25. Al-MuqtaDHab, A. M. (1994). *Al-mubared* (2nd ed.) (M. aDHīmah, Ed.). Egypt: Ministry of awqāf.

26. Al-NawāSrah, T. (2011). *Al-Hamza fi DHaw' -ilm al-Lughah al-Hadīth* (1st ed.). Amman), Dār jalīs al-Zamān.

27. Al-Qāder, & Al-Jalīl. (1998). *Al-ASwāt Al-Lughawiyah* (1st Ed.). Amman: Dār Safā.

28. Al-Sāmerra'iy , F. (2000). *Ma-āni al-nahw* (1st Ed.). Amman: Dār Al-Fikr.

29. Al-Shamsān, A. (2001-2002). *Al-'Ibdāl 'Ila al-hamza Wa-AHruf al-`ella Fi DHaw' kitāb Sir Sinā -at al-i`rāb li-ibn Jinny Hawliyāt al-' ādāb Wa-al--ulūm al-'Ijtimā -iya, al--adad (22)*. majles al-nashra al--ilmiyah, jāmi-at Al-Kuwait.

30. Al-Shanbary , H. (2004). *Al-'Istifhām fii al--Arabiya wa-Al--Ibriya: Dirāsa lughawiya muqārina, majallāt kuliyāt* . Dār Al--Ulūm, al--adad. doi:(32), pp. 697-722

31. Al-Shāyeb, F. (1987). *DHamā 'r Al-ghība, Hawliyāt kuliyat Al-adāb*. jami-at Al-Kuwait. doi:Al--adad (8).

32. Al-Shāyeb, F. (1989). *TaSwīb Qawl Al-- āmah: Fulān 'aKhiS ā ''y Bi-katha wa-katha*. majallat majma- Al-lughah Al-Arabiyaa Al-Urduni. doi:al-mujallad: 36, pp. 328-347.

16. Al-Dīkī, M. (2006). *Al-hamza wa-Hal: Dirāsa Fī al-furūq al-tarkībiya wa-al-dilāliya*. al-majalla Al-Urduniya fī Al-lugha Al-Arabiyya wa-' ā dābiha. doi:al-mujallad: 2, al--adad: 1, pp. 41-62.

17. Al-Dīkī, M. (n.d.). *DHamīr al-mutakallim: aSluhumā Wa-taTawuruhumā fii Al-Arabiyya wa-lahajātihā,*. Cairo Univeristy: maqbūl Li-al-Nashr, majallat kulliyyat Al-' ādāb.

18. Al-Farāhidy, & Al-khalil bin Ahmad. (n.d.). *Kitāb Al--Ayn* (M. Al-Makhzū, Ed.). Dār wa-maktabat Al-Hilāl.

19. Al-Harawi. (1993). *kitāb al-uzhiya fii -ilm al-Hurūf* (2nd Ed.) (A. Bin Muhammad & -Abd al-Mu-īn al-maluHi, Eds.). Damascus: Majma- al-lughah al-Arabiyah.

20. Al-Jurjāny, A. (n.d.). *Mu-jam al-ta-rifāt* (M. Al-Minshāwy, Ed.). Cairo: Dār al-faDHila.

21. Al-Kafawi . (1998). *`abu Al-baqā Ayūb bin Musa Al-Husaini-Al-Kuliyāt* (À Darwīsh & M. Al-miSrī, Eds.). Beirut: mu'sasat al-risāla.

22. Al-KhaTābiyy , M. M. (1976). *Asrār Al-DHam ā 'er aw Ra'y fī judhūr Al-DHamā 'er Al-Arabiya*. majallat Al-lisān Al-Arabī, Al-mujallad: 13

23. Al-Kumayt, & Tarīfiy, M. (2000). *Diwān al-Kumayt Bin Zayd al-Asadiy* (1st Ed.). Beirut: Dār Sādir.

24. Al-MuDHfir , R. (2006). *Al-ManTiq*. Dār al-Ta-āruf Li-al-MaTbū-āt.

9. Al-- ānī , H. (1983). *Al-tashkīl Al-Sawtiy fi al-lughah al--Arabiyya fonolūjya Al-arabiyah* (1st ed.) (Al-mallaah, Trans.; M. M. gāhlī, Ed.). Jeddah, SA: Al-Nādī Al-Adabiy al-thaqāfi.

10. Al- Shāyeb, F. (1991). *Al-MāDHi al-mujarrad wa-mas'alat Al-bin ā '-ala al-fatH*. majallat jami-at al-malik Su-ūd. doi:al-mujallad. 3, al--adad (1), pp. 113-146.

11. Al-AkhaDHari, A. (n.d.). *SharH al--allāma Al-AKhaDHari -ala Sallamah fi -ilm al-manTiq*. kitāb Iliktrūni bi Sighat word min MaTba`at Al-bābi Al-Halabi.

12. Al--āni. (2005). *Al-taSawur wa-al-taSd īq fi Al-Arabiyya*. Jāmi-at Baghdād: Master's Thesis, Supervisor: Khad īja al-Hadīthy.

13. Al-Ansāri, Bin Yusuf, J., & Al-Khatīb, À. (2000). *Mughni al-labīb -an kutub al-'a- ā rīb* (1st Ed.). Kuwait: Al-majlis Al-waTanilil thaqāfah wa Al-funūn wa al-adab, Al-silsilah Al-turathiyah.

14. Al-Astrābādhy , R. A. (1982). *SharH Shāfiyat Ibn al-Hājeb* (M. M. Al-Zafz āf, & M. M. `abd Al-Hamīd, Eds.). Beirut: Dār al-Kutub al--ilmiyya.

15. Al-'awsī, Q. E. (1998). *Asālīb al-Talab -ind al- naHwiyyiīn wa-al-balāghiy īn*.) Jāmi-at Baghdad.

List of References:
The Holy Quran.

1. A., & Ali, M. (1996). *Mawsū-at kashūf iSTilaHāt al-Funūn wa-al--ul ūm* (1st ed.) (A. DaHrūj, Ed.; A. Al-khālidy, Trans.). Beirut: Maktabāt Lubnān NaShirūn.
2. A., & BayDHūn, A. Y. (2000). *Miftāh al--ulūm* (1st ed.) (Hindāwy, Ed.). Lebanon: Dār al-kutub al--ilmiyya.
3. Abd al-Qādir Husain. (1998). *'athar al-nuHāt fii al-baHth al-balāghiī*. Cairo: Dār Garīb li-al-Tibā`-ah wa-al-Nashr wa-al-tawzī.
4. Abdoh, D. (2010). *Dirāsat fii -ilm aSwāT al-Arabiyya* (2nd Ed.). Dār Jarīr.
5. Abdoh, D. (n.d.). *Abhāth fi al-kalimah wa-al-jumlah* (1st Ed.). Amman: Dār al-Karmel.
6. Abī Rabī-a, (n.d.). *Diwān `umar Bin Abī Rabī-a*. Beirut: Dār al-Qalam.
7. AbīT'lib, M. (1984). *Al-Kashf -an Wuj ūh Al-Qir ā' ā t Al-sab- Wa--iIaliha Wa-Hujajih ā* (3rd Ed.) (M. RamaDHān, Ed.). Mu'asasat Al-Risāla.
8. AbīTa'lib, M., & Farhāt, A. (1996). *Abu Muhammad Al-qaysiAl-Ri- āya Li-tajw ī d Al-Qirā'ah wa- tahqīq Lafzh Al-Tilāwa* (3rd ed.). Amman: Dār Ammār.

Two Interrogative Confirmation Articles (hamza) and (hal) Which is Older? A Historical Linguistic Study

Dr. Umar Yusuf Okashah
Center of Languages
Department of Arabic Language - Yarmuk University - Irbid, Jordan

Abstract:

The study addresses a linguistic historical issue that has long preoccupied grammatical thinking. It is about the two interrogative articles (hamza) and (hal) that are equally used. It is well documented that the interrogative hamza has two functions: conceptualization and confirmation, whereas the interrogative hal is only used for confirmation. If both of these interrogative articles have the confirmation function, which one is older for expressing this form of interrogation in Arabic: hamza or hal?

The study is composed of preleminaries, an introduction, two topics of discussion, and a conclusion. The preleminaries discuss the literal and technical meanings of interrogation, and its two functions: confirmation and conceptualizationin terms of their literal and technical meaning. It also states the rules of the interrogative hamza, and the way it differs from hal. The introduction discusses the importance of the study, the reason for choosing this topic, the aim of the study, the methodology, and reviews previous studies. The first topic of discussion is devoted to addressing the opinions that presuppose the primacy of hamza as an interrogative for the function of confirmation. The second topic of discussion is devoted to discussing the reasons for the development of hal. Finally, the conclusion discusses the most important findings.

The importance of the study lies in the fact that the issue being investigated has not been resolved yet -to the best of my knowledge- and no opinion about it has been favored, even by the most prominent Arab linguists as well as orientalists. The research discusses sixteen linguistic points of view in order to show that the opinion that hamza is older than hal is wrong, and that hal was originally used for interrogative conceptualization. The different points of view (sixteen) are classified into three: first, phonetic and syntactic structure, second, sentence structure, and third, textual structure. The research, then, shifts to the attempt to find an explanation to why the Arabic interrogative hal was introduced after hamza. The finding is the Arabic language tendency to surpass the difficulty concerning the pronunciation of hamza, to specify the articles, and to strengthen the interrogation.

Key Words: Interrogative articles- interrogative of confirmation– hal - the interrogative hamza-– oldest interrogative of confirmation.